

الإمام الداودي حياته الشخصية والعلمية Al Daoudi; his personal and scientific life

د. خالد بن زيان *

جامعة عين تيموشنت (الجزائر)

kaledbenziane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/03/15 تاريخ القبول: 2023/09/20 تاريخ النشر: 2024/01/30

ملخص:

إن في تاريخ بلادنا العلمي رجالا عظماء برعوا في فنون من العلوم والمعارف الشرعية، ولكن ظروف وأسباب حالت دون شهرتهم، فبقوا في زوايا النسيان لا يكاد يعرفهم أحد، ولم يكن لهم من الشهرة والذيع ما كان لغيرهم من أقرانهم أو معاصريهم.

ولذا كانت الحاجة ماسة لتوجيه عناية الباحثين الى خدمة تراجم علماء الجزائر وأن نزيح عنهم الإهمال والتقصير في حقهم، ونقدم تراثهم للأجيال القادمة وأن نحيي ما اندرس من علومهم.

وسأحاول في هذا المقال تسليط الضوء على أحد أعلام الجزائر وهو: أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني (402هـ) فمن هو الإمام الداودي؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من عرض ترجمة موسعة تحتوي جملة من الفوائد عن حياة الداودي، وشخصيته العلمية، وسأكشف اللثام عن جوانب خفية من حياته كعصاميته في طلب العلم، ودخوله القيروان، وآثاره العلمية.

الكلمات المفتاحية: علماء الجزائر، الداودي.

والله الموفق والهادي إلى السبيل.

* المؤلف المرسل

Abstract:

In the history of our country, there are great men who excelled in the arts of legal science and knowledge, but circumstances and reasons prevented their fame, so they remained in the corners of forgetfulness, and no one knew them, and they did not have fame and the righteousness of the other peers or their contemporaries.

Therefore, the need was urgent to direct the attention of researchers to serve the translations of Algerian scholars and to displace them from neglect and negligence against them, and we provide their heritage for future generations and to revive the study of their sciences .

In this article, I will try to shed light on one of the Algerian scholars , which is: Abu Jaafar Ahmed bin Nasr Al -Daoudi Al -Mesili Al -Tlemceni (402 AH).To answer this question, an expanded translation must be presented that contains a number of benefits from the life of Daoudi and his scientific personality, and I will reveal hidden aspects of his life as his self - seeking to seek knowledge, his entry of Kairouan, and his scientific effects .

Keywords: Algerian scholars, legal sciences, Imam Al -Dawoudi.

مقدمة:

لا بد قبل الغوص والتنقيب في أقوال الدَّأُوْدِيِّ وآرائه في التفسير ومنهجه فيه من التعرف على شخص هذا المفسر⁽¹⁾ وإبراز معالم واضحة عن حياته التي كان يحياها.⁽²⁾

المطلب الأول: اسمه وكنيته وشهرته ونسبته:

أولا: اسمه وكنيته وشهرته:

1- **اسمه:** هو أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيِّ الأسدي (الأزدي) الأموي الطرابلسي المسيلي البسكري التلمساني من أئمة المالكية.

2- **كنيته:** أبو جعفر، وتكاد تتفق كلمة المترجمين في اسمه وكنيته.⁽³⁾

3- **شهرته:** إنّ جميع المصادر التي ترجمت للدَّأُوْدِيِّ، والتي أمكن الرجوع إليها، لم تذكر شيئا عن شهرته، إلا أنّ بعضها قد أشار إلى مكان ولادته ونشأته. فقد ترجم القاضي عياض في مداركه للدَّأُوْدِيِّ فقال، بعد أن ذكر اسمه: "أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، كان بأطرابلس"⁽⁴⁾

¹ وردت ترجمة الدَّأُوْدِيِّ أساسا في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، ثم كتاب التَّحَمُّ الثاقب لابن أبي سعد التلمساني، وكل ما في كتبه المؤلفون في ترجمتهم للدَّأُوْدِيِّ، اعتمدوا على الترجمة التي كتبها القاضي عياض الذي يبعد قرنا من الزمان من وفاة الدَّأُوْدِيِّ، إذا أخذنا بعين الاعتبار، أنّ القاضي عياض وقد ولد 476هـ، وأنه لم يحمل العلم في حديثه. إنّ فراغا زمنيا بهذا الحجم بين حياة الدَّأُوْدِيِّ، والمصادر التي ترجمت له، لم يترك لنا من تفاصيل حياته إلا النزر اليسير. فلم يبق لنا منطريق للتعرف عليه أكثر، إلا آثاره ومؤلفاته، وجمع أقواله ومروياته، في ثنايا كتب أهل العلم.

² وقد اعتمدت في إعداد هذه الترجمة 34 مصدرا ومرجعا، فالبليوغرافيا هي عماد البحث العلمي، يحتاجها الباحث منذ أن يبدأ التفكير في بحثه، فمنها يتعرف على أهمية بحثه وموضوعه، وما كتب فيه. وعندما عزمت على الكتابة في موضوع ترجمة الإمام الدَّأُوْدِيِّ، بدا لي أنّ أهم ما يجب أن أقف عليه، هو حجم ما كتب عن هذا الإمام. وقد رأيت من الواجب علي أن أجمع ثبنا بليوغرافيا من شأنه أن يوفر على الباحثين بعدي في ترجمة الدَّأُوْدِيِّ الوقت والجهد، وقد ذكرت 34 مؤلفا وبحثا تناول ترجمة الدَّأُوْدِيِّ، والله الموفق للصواب.

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك، 3/ 623، 2- القاضي عياض، الغنية، فهرسة شيوخ ص: 172-173، 3- الذهبي، تاريخ الإسلام، 56/28، 4- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، 1/ 132، 5- ابن فرحون، الدياج المذهب في أعيان المذهب، 1/ 35، 6- ابن سعد التلمساني، التَّحَمُّ الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ص: 127، 6- المقرئ، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب 5/ 433، 7- أحمد التَّاب الأنصاري (ت: 1163هـ)، نجات النسرين والرياح فيمن كان بطرابلس من الأعيان، ص: 70، 71، 8- ابن مخلوف، شجرة الثور الزكية، 1/ 111، 9- ابن عبد السلام الأموي، التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات، ص: 213، 10- التنبكي، بل الابتهاج بهامش الدياج، ص: 85، 86، 11- الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، 2/ 567، 569، 12- عبد الهي الكتاني، التراتيب الإدارية، 48/ 1، 13- الزركلي، الأعلام، 1/ 264، 14- فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي، 2/ 162، 15- فؤاد سِيد، فهرس المخطوطات المصوّرة، 1/ 278، 16- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي 3/ 132، 17- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 194، 18- محمد الحسن الثعالبي الحجوي، الفكر السنامي في تاريخ الفقه الإسلامي، 3/ 126، 19- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 2/ 568، 20- عبد الوهاب بالمنصور، أعلام المغرب العربي، 4/ 403، 21- عبد العزيز بعبعد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، 3/ 156، 22- أحمد محمد عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ص: 140، 23- دليل المؤلفين العرب الليبيين، ص: 79، 24- إحسان عباس، تاريخ ليبيا من الفتح العربي، ص: 212، 25- طاهر أحمد الزواوي الطرابلسي، أعلام ليبيا، ص: 49.

³ كناه الزركلي بأبي حفص وهو غير صحيح، الأعلام، 1/ 264.

⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 7/ 102.

فهو إذا "المسيلي" نسبة إلى مدينة المسيلة التي ولد بها ويحتمل أن يكون قد أمضى فيها بعض الوقت قبل أن يتّخذ من طرابلس مستقرا له ونجد من المترجمين من نسبه بالطرابلسي، منهم ابن مخلوف (ت: 1360هـ)⁽⁵⁾؛ قال الشيخ عبد الرحمن الجليلي: "سكن طرابلس الغرب"⁽⁶⁾، وقال عبد العزيز عبد الله في موسوعته يقول: "وقد قرأ بطرابلس"⁽⁷⁾ وزاد عادل نويهض، فقال: "أقام بطرابلس الغرب مدة طلبا للعلم"⁽⁸⁾.

ثانيا: نسبته: اختلف المترجمون في نسبة الدّاؤديّ رحمه الله، فقليل: الدّاؤديّ، التلمساني، والمسيلي، والبسّكري، والطرابلسي، والأموي، والأسدي، والأزدي. وهذه النسبة توجب علينا الرجوع إلى المصادر الأصلية، كلّما أمكن ذلك، لأنّ الناقلين أفهامهم تختلف. وهذا تحقيق نسبته على التّرتيب التّالي:

1 الدّاؤديّ: فقد اتفقت المصادر في التعريف به على أنّه الدّاؤديّ، ولكن إلى من ينتسب؟ وهل ترجع هذه النسبة إلى داود الظاهري (ت: 270هـ) الذي انتسب عدد من العلماء إليه؟ وهذا قول بعيد لأنّ الرّجل كان من شيوخ المالكية، وقد خدم المذهب تدريسا وتأليفا، ولم يرد في ترجمته، أنّه كان له شأن مع المذهب الظاهري، في أي طور من أطوار حياته، فالأقرب أن ترجع هذه النسبة إلى أحد أصوله أو أجداده. ويحتمل أن يكون داود هذا الذي ينتسب إليه المؤلّف هو جدّه المباشر، ولذا أغفلت المصادر ذكره عقب ذكر اسمه، اكتفاء بهذه النسبة⁽⁹⁾؛ قال السمعاني (ت: 562هـ) في الأنساب: "مادة: الدّاؤديّ: الدّاؤديّ، بفتح الدّال المهملة والألف والواو المضمومة بين الدّالين المهملتين، هذه النسبة إلى مذهب داود واسم داود. فأما المذهب جماعة انتحلوا مذهب أبي سليمان داود بن علي الأصهباني إمام أهل الظاهر وفقههم وفيهم كثرة"⁽¹⁰⁾؛ وذكر السمعاني ممّن

⁵ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص: 110.

⁶ عبد الرّحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1400هـ/1980م، 272/1.

⁷ أحمد بن نصر الدّاؤديّ الطرابلسي الفقيه المحدث، حياته وآثاره مع تذييل ببعض فتاويه، حمزة أبو فارس، ص 530 من أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي.

⁸ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ 46/16.

⁹ ذكر عبد العزيز دخان أنّه سمي الدّاؤديّ نسبة إلى الدواودة (أو الزواودة، أو الدواودة) الذين كانوا يقيمون بهذه المنطقة من الجزائر، الإمام أحمد بن نصر الدّاؤديّ محدثا وفقهيا، ص: 42-43.

¹⁰ عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، كتاب الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى العلّمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1382هـ/1962م، ص: 294.

نسب إلى أحد آبائه داود: سليمان بن محمد بن داود الأديب الدَّاؤدِيّ والإمام عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الدَّاؤدِيّ الفوشنجي، وسليمان بن داود بن محمد الصَّيدلاني الدَّاؤدِيّ. وأيضاً مَنَّ نسب إلى أحد آبائه داود، أحمد بن نصر الدَّاؤدِيّ المالكي شارح صحيح البخاري.⁽¹¹⁾ ومن الطرائف أنَّ أحد العلماء أو المتعلمين المعاصرين للشيخ أحمد بن علي الرِّقَّاق سأله ثلاثة أسئلة: أحدها من الدَّاؤدِيّ المذكور في قول - الفقيه المالكي المشهور - في صفة العِدَّة: وقد اختلف النَّاس فيها جميعاً - يعني المرتابة والمستحاضة - قال عكرمة وقتادة والشافعي: عدَّة المستحاضة ثلاثة أشهر وذكر الدَّاؤدِيّ في النِّصيحة قولاً آخر أنَّها تعدُّ بستة أشهر - إلى آخر كلامه - قال السَّائل: المسألة الثانية: هذا الدَّاؤدِيّ، هل هو ظاهري أو من أهل مذهبنا ؟ فأجابه الرِّقَّاق بقوله: وأمَّا السَّؤال الثاني فجوابه أنَّ الدَّاؤدِيّ المذكور هو أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاؤدِيّ المالكي كان بطرابلس... إلى آخر كلامه.⁽¹²⁾

2) المسيلي: وهو أيضاً المسيلي فهو من المسيلة⁽¹³⁾ وهي التي كانت تسمَّى قديماً (المحمدية) نسبة إلى منبناها وهو أبو القاسم محمد بن عبيد الله العبيدي الشَّيعي (ت: 322هـ).⁽¹⁴⁾ وقد جزم القاضي عياض نسبته إلى المسيلة، وقد نسبته ابن خير الإشبيلي (ت: 575هـ) في فهرسته إلى المسيلة، فقال: "أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاؤدِيّ الفقيه المالكي من أهل المسيلة"⁽¹⁵⁾. وهناك ما يدل على أنَّه حدَّث بالمسيلة قبل أن يخرج منها إلى طرابلس، ففي ترجمة أحد تلامذته، وهو أحمد بن محمد بن عبيدة المعروف بابن ميمون، أنَّه سمع من أبي جعفر بالمسيلة.⁽¹⁶⁾

¹¹ عبد الكريم السَّمعاني، كتاب الأنساب، ص: 294.

¹² أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب أيام 20، 23 ديسمبر 1995، مراجعة وتقديم،

عبد الحميد عبد الله الهُرملة كلية الدَّعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ص: 532.

¹³ المسيلة: مدينة من مدن الشرق الجزائري، ينظر: الموسوعة العالمية العربية، 308/8.

¹⁴ الحقيقة أنَّ الذي بنى المسيلة هو علي بن حمدون أبو جعفر، بأمر من الخليفة العبيدي أبي القاسم، هذا الذي ذكرته كثير من المصادر، وهو الصَّحيح، ثمَّ ورثه ابنه علي حكمها باسم العبيدين، الذهبي، تاريخ الإسلام، 213/6.

¹⁵ أبوبكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تح: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419-1998م، ط1،

فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 76.

¹⁶ ابن بشكوال، الصلة، 52/1.

- (3) **الطرابلسي:** وهو أيضا الطرابلسي، فقد عاش بعض السنوات من عمره بطرابلس⁽¹⁷⁾ الغرب (الواقعة في ليبيا) طالبا للعلم، ثم شيخا ينشر العلم بين طلابه. قال ابن فرحون⁽¹⁸⁾ (ت:799هـ): "وبها أصل كتابه في شرح الموطأ"⁽¹⁹⁾ وهو الكتاب المسمى "التامي في شرح موطأ مالك" ومن المؤكد أنه قد اتخذ من طرابلس سكنا له.
- (4) **التملساني:** وهو أيضا التلمساني بحكم النشأة والوفاة.

قال أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (ت:469هـ): "وكان أبو جعفر الدَّأوديّ - حين دخلت إلى المشرق - حيا بتلمسان، فلم يمكّي لقاءه، لتغرب الطريق من الجهة، التي خرجت إليها من البحر"⁽²⁰⁾. جاء في نوازل الشريف العلّمي (ت:1332هـ)، عن أبي العباس أحمد بن علي الرِّفَّاق (ت:764هـ) قال: "كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان وبها ألف كتب كثيرة، منها النّصيحة في شرح كتاب البخاري"⁽²¹⁾، ولعلّ الذي جعل الدَّأوديّ يتجاوز القيروان⁽²²⁾ ليقم في تلمسان⁽²³⁾ أنّ القيروان وقتها، كانت في حكم العبيدين، وأما تلمسان فكانت خارج سلطتهم، وكانت أيضا أوفر حظا من حيث الأمن والاستقرار، وهذا السرّ في تصنيفه لأغلب كتبه، وفي مقدّماتها كتابه الذي حاز به الشّرف والشّهرة، ألا وهو "النّصيحة في شرح صحيح البخاري" وكتاب الأموال وغيرها من الكتب الأخرى، ولم تذكر كتب التراجم السّنة التي خرج فيها، من طرابلس، ولا السّنة التي دخل فيها تلمسان.⁽²⁴⁾

¹⁷ طرابلس عاصمة ليبيا الآن: ينظر: الموسوعة العالمية العربية، 260/8.

¹⁸ ابراهيم بن علي اليعمري، ولد بالمدينة المنورة، وتولى القضاء بها، له الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، وتبصرة الحكام، ودرّة الغواص، ت:799هـ، ينظر: نيل الإبتهاج، 33/1، وأبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، ط2، 1405هـ/1985م، 568/2، 1/200.

¹⁹ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 35/1.

²⁰ أبو بكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الأشبيلي، تح: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1985م، ص76.

²¹ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 568/2.

²² القيروان مدينة تاريخية عريقة من مدن تونس، ينظر: الموسوعة العالمية العربية، 316/8.

²³ تلمسان مدينة من مدن الغرب الجزائري، ينظر: الموسوعة العالمية العربية، 308/8.

²⁴ وقد رجّح أحد الباحثين أن يكون انتقاله إلى تلمسان في أواسط القرن الرابع الهجري لا يتعدى سنة 362هـ، تاريخ انتقال آخر خليفة فاطمي، ينظر: سبيع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003م-2004م، ص: 124.

5) **البسكري:** من مواليد واحة لِيَّانَة بأعمال بسكرة إذ يوجد له مسجد ومقبرة يحملان اسمه. (25)

قال زهير الزاهري أحد تلاميذ ابن باديس في دراسة له، أنَّ الدَّأُوْدِيَّ ولد بِلِيَّانَة قرب بسكرة: "هو من ليانة (ولاية بسكرة) ولأهله مقبرة ببسكرة مثل لِيَّانَة ومسجد جامع ببسكرة وهو لِيَّانِي المولد بسكري الإقامة مسيلي الإمارة تلمساني المدفن". (26)

6) **الأسدي (الأزدي):** أمّا نسبة الأسدي (27) وقد ذكرها عدد من الذين ترجموا له، ويبدو رجوع هذه النسبة إلى إحدى القبائل المسماة "بني أسد" (28) وعلى هذا الاعتبار فهو عربي الأصل. وقال الذهبي: الأزدي (29)

7) **الأموي:** أمّا نسبة الأموي، فلا توجد في جميع مصادر ترجمته، وقد ذكرها أحمد النَّائب الأنصاري (ت: 1163هـ) قال في ترجمته نقلا عن مختصر المدارك: "الأموي" (30). والآن ومن هذه المصادر نستطيع أن نقول اسمه الكامل هو أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ، المسيلي، الطرابلسي، التلمساني، الأسدي، الأموي، المالكي.

قال محمد المختار اسكندر: "أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ التلمساني، وقيل أنَّ أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، فعلى كل هو من الجزائر فهذا العبقرى بحق هو فخر الجزائر على مدى العصور والدهور، لما امتاز به من جلائل الأعمال، وكريم الخصال، وقَلَمًا تجتمع في نابغة وعبقرى مثل ما اجتمعت في هذه الشخصية وهذا العبقرى النادر". (31)

²⁵ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م، 30/1.

²⁶ ليانة عبر التاريخ، تقلد فوزي مصمودي، جريدة الشعب، العدد 11065 بتاريخ الثلاثاء 30 جويلية 1996م.

²⁷ نسبة إلى بني أسد القبيلة العربية المشهورة، الذهبي، التاريخ، 56/28.

²⁸ وعلى الرغم من أنَّ هذه القبيلة لم تنتقل إلى الشمال الإفريقي فإنّه لا مانع من رحيل أفرادها إلى أجداد الدَّأُوْدِيَّ وقد حدّدت بعض الروايات عدد العرب الداخلين في الشمال الإفريقي بما يقرب من ربع مليون عربي. ينظر: حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص: 319.

²⁹ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، 56/28.

³⁰ أحمد بن الحسين النَّائب الأنصاري، نفحات السرير والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقلد وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ص: 71-72.

³¹ محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، مطبعة دحلب، الجزائر، (د ت)، 61/1.

ختاماً لهذا المطلب يحسن بيان الخلط والتصحيح⁽³²⁾، الذي وقع في ترجمة الدَّأُوْدِيِّ. وقد تتبع عبد العزيز الصَّغِير دحان - جزاه الله خيراً - بعض هذه الأخطاء⁽³³⁾ وسأوردها مختصرة لبيان هذا الخلط:

1. خلط محققوا الذَّخِيرة للقراي المالكي الأساتذة الفضلاء: محمد حجي، وسعيد أعراب ومحمد بوخبزة، حيث خلطوا بينه وبين أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد البوشنجي الدَّأُوْدِيِّ الشافعي (ت: 467هـ) والفرق بينهما شاسع.

2. ما كتبه الأستاذ إبراهيم الأبياري على هامش الصَّلَة لابن بشكوال⁽³⁴⁾ عند ذكر الدَّأُوْدِيِّ في جملة مشايخ الإمام المشهور ابن الفرضي، فقد نسبته المحقق فقال: وأحمد بن نصر الدَّأُوْدِيِّ (هكذا) ثمّ علق في الهامش: كذا في خ الدَّأُوْدِيِّ براء مهملة نسبة داور: ناحية سجستان (ولب الباب: 102، معجم البلدان: 541/2) فقد ترك المحقق الصَّوَاب في كنية الدَّأُوْدِيِّ متابعة لمعجم البلدان. 3. محقق كتاب "درة العَوَاص في محاضرة الخواص" لابن فرحون، وهو محمد أبو الأجنان - رحمه الله - حيث ترجم للدَّأُوْدِيِّ الآخر، في حين أنّ ابن فرحون نسب ما ذكره عن الدَّأُوْدِيِّ، في أغلب المواضع إلى كتاب الأصول، وهو كتاب مذكور في مؤلفات الإمام أبي جعفر الدَّأُوْدِيِّ المسيلي.

4. محقق كتاب الإكمال إذ ترجم في 602/1 للدَّأُوْدِيِّ الشافعي وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد، ظنا منه أنّه هو، والصَّوَاب أنّه الدَّأُوْدِيُّ المالكي، ثمّ تكرر منه ذلك في 322/2 إذ جعله داوديا آخر، وهو ابن المغلس (ت: 324هـ).

5. وقد وقع تصحيح وتحريف لاسم الدَّأُوْدِيِّ إلى الدَّأُوْرِي، وذلك في شرح النَّوَوِي، وهو تصحيح من النَّسَاح لأنّه لا يوجد في جميع الطبقات.

³² التصحيح: هو تغيير اللفظ، حتى يتغير المعنى المراد، وأصله الخطأ: يقال صحفه، فتصحف، أي غَيَّرَه، فتغير حتى التبس، والتصحيح في الاصطلاح: اختلف فيه على قولين: قبل هو كل تغيير في الكلمة، سواء بسبب اختلاف النقط، أو الشكل، أو بتبديل حرف بحرف، أو كلمة بكلمة، وهذا الذي جرى عليه اصطلاح أغلب المحدثين قبل ابن حجر في الكفاية، والحاكم (ت: 405هـ) في معرفة علوم الحديث والنووي (ت: 676هـ) في التقريب، وابن الصلاح (ت: 643هـ) وغيرهم.

أما ابن حجر ومن تابعه، فقد ذهبوا إلى أن التصحيح خاص بتبديل الكلمة بكلمة أخرى تشابهها في الخط، وتخالفها في النقط، وذلك كتبديل الغدر بالعدر، والخطب بالخطب. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 199، 189/10.

³³ عبد العزيز دحان، موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيِّ المسيلي التلمساني، 47-46/1.

ابن بشكوال، الصَّلَة، 1/392.

6. وتحوّف إلى (الدّوّادي)، وذلك في شرح النّوّي أيضا 120/13.
7. وتحوّف إلى الدّاروردي، وذلك في مصاييح الجامع للدّماميني، 335/3 والمفهم للقرطبي (2876/5).
8. وتحوّف إلى (الدّاوودي)، وذلك في هميان الزاد، 102/2 وتحوّف إلى الدّوادي، في هميان الزاد أيضا، 490/3.
9. وتحوّف إلى (الدّاوودي) في عون المعبود شرح سنن أبي داود، 446/7.
10. وتحوّف إلى الروادي، وذلك في كتاب الأدب الدّفاعي والجدلي لشتاين شيندر (steuscneider.H) وذلك أثناء حديثه عن كتاب الأموال للدّوادي.
11. وتحوّف إلى أبوداود، وذلك في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 295/17.
12. وتحوّف اسم الدّاووديّ: أحمد بن نصر إلى (أحمد بن منصور) وذلك في كتاب الإكمال للقاضي عياض، 337/1، طبعة دار الوفاء، تحقيق: إسماعيل يحيى.⁽³⁵⁾
13. قد يخلط بعض المعاصرين بين الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدّاووديّ (ت: 402هـ) والدّاووديّ (ت: 945هـ) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد صاحب طبقات المفسرين والفرق الزمني بينهما شاسع على الرغم من تشابههما في النسبة "الدّاووديّ"
14. وهناك داودي تلمساني آخر، هو أبو عبد الله الحاج الدّاووديّ العربي (ت: 1270هـ).⁽³⁶⁾

المطلب الثاني: مولده ونشأته وتعليمه ورحلاته العلمية:

أولا: مولده ونشأته:

لم تتحدث المصادر، التي ترجمت للدّاووديّ شيئا عن مولده ونشأته، ولا شك أنّه ولد كغيره من أبناء منطقته، وأمّا عن نشأته⁽³⁷⁾ فإنّ كتب التّراجم لم تنقل لنا كذلك شيئا عن ذلك، ولا عن أسرته، وإنّ سكوت المصادر عن نشأته، يدلنا على أنّها نشأة عادية كباقي أقرانه من أبناء

³⁵ ينظر: موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الدّاووديّ المسيلي التلمساني، المالكي، في اللغة والحديث والتفسير، والفقه تأليف عبد العزيز صغير دخان. دار المعرفة الدّولية للنشر والتوزيع، ط1، 46/1 - 47، وقد استفدت كثيرا من هذه الموسوعة، وكذلك من ملاحظاته وتوجيهاته عبر الهاتف فجزاه الله خيرا.

³⁶ أبو القاسم الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، 113/2.

³⁷ سكّت المترجمون عن الحديث عن نشأته، وهذا ليس غريبا، فقد أهملت كتب التراجم الكلام عن نشأة أكبر العلماء وعذرهم في ذلك أنّ نشأة العالم تتمثل في تلقيه العلم.

عصره، على بدء تعليمه بحفظ القرآن الكريم، وشيء من السّنة النبوية، وقواعد اللغة العربية، وقد توسّع في الطّلب بعد ذلك، فبدأ بدراسة الفقه المالكي، حتى برع فيه، كما درس علوم الحديث، حتى برع فيها، ومّا يدل على ذلك إقدامه بعد ذلك على شرح صحيح البخاري، في كتاب من تأليفه، وقد درس في هذه المرحلة علم الكلام، ممّا أهله لكي يرّد على القدرية، ويدافع عن عقيدة أهل السّنة، في كتاب ألفه لذلك.⁽³⁸⁾

هذا، وقد أهملت بعض المصادر الهامة للتّراجم المغاربية، ذكر ترجمة الدّاؤديّ، ككتاب الصّلة لابن بشكوال (ت: 578هـ) وكتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي (ت: 488هـ) وكتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدّباغ (ت: 699هـ) وذلك للتعليل التالي:

1. لم يترجم ابن بشكوال للدّاودي، وإن ذكره كثيرا، وذلك لذكر شيوخه وتلاميذه الذين رَوّوا عنه وأجازهم في كثير من مؤلفاته، وقد التزم ابن بشكوال فيمن ترجم لهم من العلماء، الذين عاشوا في الأندلس أو رحلوا عنها أو جاؤوا إليها، وليس هذا إغفالا للدّاودي، ولكن التزاما بالمنهج الذي اتبعه.

2. التزم الحميدي بتراجم علماء الأندلس وولاتها، ولم يترجم لغيرهم.

3. التزم الدّباغ أن يترجم لعلماء القيروان.

ثانيا: تعليمه ورحلاته العلمية:

1- تعليمه: لقد لاحظت في كل المصادر والمراجع، التي قرأت فيها، عن حياة الدّاؤديّ، أنّه كان عصاميا إذ اعتمد في دراسته على مطالعته، وإرادته الشخصية في حب العلم والتّعلم، ولقد ذكر القاضي عياض - رحمه الله - وتبعه على ذلك من نقل عنه كابن فرحون جملة جدية بالمناقشة والتحليل، ذكر أنّ الدّاؤديّ كان بطرابلس، ومن هناك أنكر على علماء القيروان عدم خروجهم منها عندما سيطر عليها العبيديون، ولكنّ علماء القيروان كان لهم رأي آخر فقد أجابوه "اسكت! لا شيخ لك".⁽³⁹⁾

³⁸ أحمد المختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب، صحيفة المعهد المصري، مدريد، 1957م، ص: 193.

³⁹ ابن فرحون، الديّاج المذهب، 35/1.

ثم بيّن القاضي عياض هذه الجملة بقوله: "أي، لأنّ درسه كان وحده، ولم يفقهه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنّه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم، أنّ بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنّه لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق⁽⁴⁰⁾ من بقي فيها من العامة الألف والآلاف، فرجّحوا خير الشرين".⁽⁴¹⁾

ونقل الونشريسي (ت: 914هـ) عن عياض قوله: "بأنّ الدّاوديّ مقارب المعرفة في العلوم وأنّ علمه كان بنظره واجتهاده، وغير متلق عن الشيوخ وقد عابه بذلك أهل زمانه".⁽⁴²⁾

والحقيقة أنّ عصامية الإمام الدّاوديّ تحتاج إلى وقفات وتأمّلات، خاصّة وأنّه عاش في عصر الرواية، والرّحلة في طلب الحديث، والأسانيد العالية. فالغربة كبيرة والدّهشة عظيمة، عندما نعلم أنّ له طلاباً، ولم يذكر مترجموه أنّ له شيخاً واحداً!

1- أنّ المترجمين ذكروا أنّه لم يتفقه، في أكثر علمه، إذن درس بعض علمه على إمام مشهور، ولكن من هو؟

2- أنّ كتبه حصل لها قبول عجيب، فقد أودعها العلماء فهارسهم وبرامجهم ومعروف أنّهم خصوصاً في ذلك الزمن (القرن 4 و 5 الهجري) كانوا حريصين على اتصال السند، فكيف يسمع خلق من العلماء الأفاضل، ويأتون من أمكنة قاصية بمكثون سنوات طويلة، يسمعون من شيخ، لم يأخذ علمه عن أئمة مشهورين.

3- أنّ ما قاله عياض جاء تفسيراً، أو محاولة لتفسير ماردّ به علماء القيروان على الدّاوديّ، عندما انتقد مكوثهم في حكم العبيديين، وعدم هجرتهم، قائلين له: "اسكت! لا شيخ لك"، وهذه العبارة تحتل معاني كثيرة.

ويكفيها حجة قول عياض نفسه: "في أكثر علمه" فمفهومه أنّه درس في بعض علمه على إمام مشهور، ومع ذلك لم يذكره عياض، ولا غيره.

⁴⁰ كان علماء المغرب يلقبون العبيديين بالمشاركة لقدمهم من المشرق، ويقولون عمّن يتابع العبيديين على مذهبهم إنّّه تشرّق ينظر: ابن الأثير (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ط2، 114/8.

⁴¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 623/3.

⁴² ابن مخلوف، الشجرة، ص: 82.

4- كان المشرق في القرن الرابع في أوج ازدهار العلم، وكثرة العلماء، وكانت الرحلة في ذلك العصر شرفا لكل طالب علم، فكيف يرحل أقرانه، ولا يرحل، وهو أقرب منهم إلى بلاد المشرق. وإلاّ فما الذي يجعله يترك بلده المسيلة، ويذهب إلى طرابلس وهي في أقصى الشرق بالنسبة للمسيلة.

5- لعلّ الخلاف الذي كان بين الدّاؤديّ وعلماء القيروان، قد أرخى بسدوله على حياته، ودفع به إلى دائرة النسيان، وفي تاريخنا علماء مغمورين، ولم يكن لهم تلك الشهرة، التي كانت لأقرانهم، لاعتبارات سياسية وعقدية ومذهبية...

ولعلّ مثال الإمام أبي الحسن محمد بن علي القابسي القيرواني⁽⁴³⁾ يشير إلى ذلك، فقد عُرف أنّه أوّل من أدخل صحيح البخاري إلى بلاد المغرب على الرّاجح، وذلك سنة 357هـ، وقد توفي القابسي سنة 403هـ أي بعد سنة واحدة من وفاة الدّاؤديّ، وهذا يعني أنّهما كانا قرينين ويدل على ذلك أنّ الدّاؤديّ والقابسي، قد شاركا ابن أبي زيد القيرواني (ولد سنة 310هـ وتوفي سنة 386هـ) في بعض تلاميذه، فابن الفرضي مثلاً من جملة تلاميذ الدّاؤديّ، وهو أيضاً تلميذ لابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابسي. فالإمام أبو الحسن القابسي القيرواني قد تربّع على عرش الرواية في القيروان، وكان له فيها شأن، وأصبح إماماً مشهوراً، وأمّا إمامنا الدّاؤديّ فقد دخل دائرة النسيان، والله المستعان.

6- أنّ العصامية في طلب العلم في زمن الرواية والرحلة ليست منقبة، يمدح صاحبها، أو يستحق التقدير والتّنويه، بل كان العالم الذي لا يرحل يعرّض نفسه للقدح فيه، والزّهد في الرواية عنه، قال يحيى بن معين (ت: 233هـ): "ثلاثة لا تؤنس منهم رشداً..." وذكر منهم: "ورجل يطلب علم أهل بلده ولا يرحل".⁽⁴⁴⁾

⁴³ الحافظ المحدث الفقيه الإمام علامة المغرب، أخذ بإفريقية عن ابن مسرور الدّباغ ودارس بن اسماعيل، ومبصر عن حمزة بن محمد الحافظ وأبي زيد المروري وهذه الطبقة، وُلد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وكان حافظاً للحديث والعلل بصيراً بالرجال عارفاً بالأصلين، رأساً في الفقه وكان ضريراً وكتبه في نهاية الصّحة، ت. 403هـ بمدينة القيروان، ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، 186/3-

7- أن القاضي عياض (ت: 544هـ) لم يرحل أيضا، ومع ذلك فلا يتردد أحد في الجزم بكثرة شيوخه، الذين أخذ عنهم الحديث عند مرورهم على مدينة "سبتة"⁽⁴⁵⁾ "ذهبين من الأندلس إلى بلاد المشرق أوقافلين من المشرق إلى الأندلس."⁽⁴⁶⁾

وقد ترجم الحافظ الذهبي لأبي علي الغساني الجبالي محدث الأندلس: "ولم يخرج من الأندلس وكان من جهابذة الحفاظ البصراء، بصيرا بالعربية واللغة، والشعر والأنساب، صنف في ذلك كله، ورحل الناس إليه، وعولوا في النقل عليه، وتصدر بجامع قرطبة، وأخذ عنه الأعلام."⁽⁴⁷⁾

8- اطرابلس مستقر الدّاؤديّ، وكان يقيم بها عدد من كبار العلماء، كأبي الحسن علي بن أحمد بن زكرياء المعروف بابن ذكوان (ت: 370هـ) وهو محدث كبير له مؤلفات، في الحديث والرّجال، وله سماع وسند عال، وكان من تلاميذه أبو الحسن القابسي، قرين الدّاؤديّ.

ولعلّ من العلماء الكبار، الذين أقرؤوا العلم بطرابلس أبا محمد عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور التجبي المعروف بابن الحجام⁽⁴⁸⁾ (ت: 346هـ) وهو من العلماء الذين أخذ عنهم أبو الحسن القابسي وأبو محمد⁽⁴⁹⁾ عبد الله بن أبي زيد القيرواني⁽⁵⁰⁾ فأولى بالدّاؤديّ أن يحرص على التّلمذ على أيديهم، والأخذ عنهم، والله أعلم.

⁴⁵ سبتة: مدينة من مدن المغرب الأقصى محتلة تحت السيطرة الإسبانية الآن، وهي بلدة مشهورة من قواعد المغرب العربي وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس، ينظر: الحموي، معجم البلدان، 3/206، رقم: 6233.

⁴⁶ محمد بن القاضي عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف المغربية، ط2، 1402هـ، ص: 100.

⁴⁷ الذهبي، تذكرة الحفاظ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، 4/1233. وينظر: سير أعلام النبلاء، 19/148.

⁴⁸ عبد الله بن مسرور التّجبي مولا، شيخ المالكية، بالقيروان، أبو محمد عرف بابن الحجام، إمام كبير ت. 346هـ. قال أبو الحسن القابسي (ت: 403هـ): "ترك سبع قناطير كتب كلّها بخط يده، ففعل أخذها السلطان العبيدي، ومنع الناس منها كيذا للإسلام"، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/30.

⁴⁹ إمام المالكية بالقيروان وإذا أطلق الشيخ أبو محمد عند المالكية كان هو المعني به، له الرسالة الفقهية، والنوادر والزيادات وغيرها، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، 3/492، ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/427.

⁵⁰ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 3/57.

2- رحلاته العلمية:

وأما بالنسبة لرحلاته العلمية، فنظرا لشح المصادر وقلة من ترجم للإمام الدَّأوْدِيّ، ترجمة مفصلة يصعب على الباحث الجزم بصحّة، أو خطأ كثير من المعلومات عن رحلات الدَّأوْدِيّ العلمية، فلا يسعنا إلّا الاحتمال، وذكر الروايات، وفتح الباب للدارسين والمحققين، لكشف كثير من نقاط الظّل، في مسيرة هذا الإمام العظيم.

إنّ رحلة الدَّأوْدِيّ العلمية بدأت بالمسيلة ثمّ انتقل إلى طرابلس وانتهى به المطاف في تلمسان إذ مات هناك. وقد سبق أن ذكرنا أنّ المرحلة الأولى من حياته كانت بطرابلس إذ كان طلبه للعلم، واشتدّ عوده في المعرفة، مع اقتحامه ميدان التّأليف فكان بها تأصيل كتابه " التّامي في شرح موطأ الإمام مالك"، وإملاؤه على طلبته، ليتّجه بعد ذلك إلى تلمسان، حسبما يذكره جمهور المترجمين له، إذ ألّف بها كتبا كثيرة، وفي مقدمتها كتابه الذي حاز به الشّرف والشّهرة، وهو "التّصيحة في شرح صحيح البخاري" وكتاب "الأموال" وغيرها من الكتب الأخرى، كما لا يبعد رحلته إلى مصر التي لم تكن بعيدة عن طرابلس، وكانت في تلك الأيام تعجّ بفحول علماء الحديث، من أمثال الحافظ الكبير حمزة بن محمد الكفائي (ت: 357هـ) وأبي بكر محمد بن سلمان النّعالبي (ت: 380هـ)، وهومن شيوخ الدَّأوْدِيّ.

ولعلّ من الرحلات التي أشارت إليها النقول عن الدَّأوْدِيّ، رحلته إلى المشرق، ورحلته إلى الحج، ورحلته إلى القيروان.

رحلته إلى المشرق: يرى بعض المحققين أنّ الدَّأوْدِيّ قد رحل إلى المشرق⁽⁵¹⁾. وجاء في كتاب الصلة لابن بشكوال، في ترجمة بعض الأعلام، جملة من النقول يحتاج الباحثون للوقوف عليها، تشير إلى سفر الإمام الدَّأوْدِيّ إلى المشرق، ومنها:

⁵¹ ذهب إلى هذا محقق كتاب مجالس القضاة والحكام، ص: 249. مجالس القضاة والحكام والتنبيه والإعلام فيما أفناه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام، للقاضي أبي عبد الله المكناسي (ت: 917هـ)، تح: د. نعيم عبد العزيز سالم الكيثري، ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. دبي، 1423هـ/2002م، وأحال على الدياج، والترجمان العرب للتسولي، وهو مخطوط، (المكتبة الوطنية بتونس، رقم 53355).

1. جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن ملاس الفزاري: "من أهل إشبيلية، يكنى: أبا القاسم له رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا الحسن بن جهضم، وأبا جعفر الداودي وأخذ عنهما وعن غيرهما".⁽⁵²⁾

2. في ترجمة راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن راشد: "من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الملك، له رحلة إلى المشرق وكتب فيها عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد المكي، وأبي القاسم السقطي، وأبي جعفر الداودي، وأبي الفضل بن أبي عمران المقرئ وغيرهم"⁽⁵³⁾، ويجدر بنا التنبيه إلى أن المشرق قد يقصد به طرابلس، لوقوعها شرق الأندلس، فهي مشرق.

3. في ترجمة عبد الرحيم بن عبد الله بن خالص الأموي: "من أهل طليطلة، يكنى أبا محمد، له رحلة إلى المشرق روى فيها عن أبي جعفر الداودي وغيره"⁽⁵⁴⁾

4. في ترجمة كامل بن أحمد بن يوسف القادسي: "يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن الأفطس وهو من أهل قادم، وسكن إشبيلية وله رحلة إلى المشرق روى فيها عن أبي جعفر الداودي"⁽⁵⁵⁾

5. وجاء في ترجمة مروان بن علي الأسدي القطان: "من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الملك، ويعرف بالبوئي وهو خال أبي عمر القطان الفقيه فيما أخبرني به أبو الحسن بن مغيث، روى بقرطبة عن أبي محمد الأصيلي، والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد ابن فطيس وغيرهما، ورحل إلى المشرق وأخذ عن أبي الحسن القابسي، وأبي جعفر أحمد بن نصر ابن الداودي وصحبه مدة خمسة أعوام، وأخذ عنه معظم ما عنده من روايته وتوابعه وله كتاب مختصر في تفسير الموطأ، هو كثير بأيدي الناس"⁽⁵⁶⁾

- **رحلته إلى الحج:** وقد جاء في ترجمة هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله، "يعرف بابن الصابوني: من أهل قرطبة، يكنى: أبا الوليد، رحل إلى المشرق فأدى الفريضة وروى هناك عن أبي الحسن القابسي، وأبي الفضل الهروي، وعن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم التميمي الدهكي

⁵² ابن بشكوال، الصلاة، 17/1.

⁵³ المصدر نفسه، 59/1.

⁵⁴ المصدر نفسه، 104/1.

⁵⁵ المصدر السابق، 1/151.

⁵⁶ المصدر نفسه، 1/200.

البغدادي، وعن أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيّ وغيرهم...⁽⁵⁷⁾. لفظ: "هناك" في هذا النص، يشير أن العلامة الدَّأُوْدِيّ أدّى فريضة الحج.

هذا، وقد وقفت في كتاب الصلة على نصين لابن بشكوال يشير فيها إلى حج الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيّ:

1. في ترجمة أصبغ بن الفرّج بن فارس الطائي: "من أهل قرطبة، يكنى: أبا القاسم، كان من أهل اليقظة والنباهة، حافظا للفقه ورأى مالك مشاورا فيه، بصيرا بعقد الوثائق. رحل وحج وروى العلم وأخذ عن أبي الحسن بن جهضم المكي، وعبد الغني بن سعيد وأجاز له أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيّ".⁽⁵⁸⁾

2. وجاء في ترجمة حيون بن خطاب بن محمد: "من أهل طليطلة، يكنى: أبا الوليد، يروي عن أبي العاصي حكم بن إبراهيم المرادي، وأبي محمد بن أرفع رأسه، وسهل بن إبراهيم الأستيجي، وأبي محمد الأصيلي، وابن الهندي، وابن العطار وغيرهم كثيرا ورحل إلى المشرق وحجّ ولقي الدَّأُوْدِيّ، والقابسي".⁽⁵⁹⁾

وهذه النقول تشير إلى رحلات الدَّأُوْدِيّ إلى المشرق ولقائه العلماء، وكذلك أخذ عنه بعض طلبة العلم وأجاز آخرين -والله أعلم-.

- **رحلته إلى القيروان:** وأمّا عن القيروان، فلم يأت في المصادر كلّها دخوله القيروان، أثناء رحلاته، وهناك من الباحثين كالحسين محمد شواط عدّ الدَّأُوْدِيّ ضمن علماء المدرسة القيروانية⁽⁶⁰⁾، وذهب إلى هذا الرأي كذلك عزّ الدين بن زغبة الجزائري إذ يقول: "...إلا أنّ الذي يظهر لي أنّه قد دخلها أثناء مروره بها في رحلته السّالفة الذكر، وذلك اعتمادا على العناصر التالية:

⁵⁷ ابن بشكوال، الصلة، 1/ 211

⁵⁸ المصدر نفسه، 1/ 35

⁵⁹ المصدر السابق، 1/ 49

⁶⁰ الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ، ط1، 2/ 795.

1. ما ذكره ابن مخلوف عند ترجمته لأحمد بن نصر الهواري⁽⁶¹⁾ إذ قال: "وفي المالكيين القرويين من يشبهه، وهو أحمد بن نصر الدَّاؤْدِيَّ"⁽⁶²⁾ فهذا تصريح واضح الدلالة على دخول الدَّاؤْدِيَّ إلى القيروان.

2. ما ذكره عياض في ترجمته لأبي بكر عبد الله بن أبي زيد وأخيه عمر من أنَّ الدَّاؤْدِيَّ، قد كتب عنهما، ولم يكن بالطائل المعرفة، ولم يذكر عنهما أنَّهما انتقلا إلى طرابلس، ولا إلى تلمسان، فدل هذا على التقائهما به في القيروان، إلا أنَّ سكوت المترجمين عن ذكر مسألة دخوله القيروان ربما يعود لقصر المدة، التي أقام فيها، أو لكونها لم تكن مقصودة في رحلته، وإنَّما دخلها عرضا ممَّا يجعلها غير ذات أهمية، في رحلته وترجمته، وقد تكون هناك أسباب أخرى وراء هذا الإحجام، والله أعلم.⁽⁶³⁾

ويُستحبُّ الوقوف قليلا مع الأستاذ عزَّ الدين فيما ذكره:

أولا: لا توجد قرينة واحدة فيما وصل إلينا من شذرات عن حياته، تدل على رحلته إلى القيروان، وطلبه العلم فيها، مع الإقرار أنَّ القيروان لا تبعد عن طرابلس، مستقر الدَّاؤْدِيَّ، ولا عن تلمسان التي نشأ بها. إلا أنَّ البحث يقتضي الإثبات والدليل، لا التخمين والتخمين.

ثانيا: كيف يكون الدَّاؤْدِيَّ قد دخل القيروان وأقام بها، وهو الذي أنحى باللائمة على علماء القيروان لبقائهم في سلطة العبيديين، فكيف يلومهم ثمَّ يدخل القيروان ؟

⁶¹ هو أحمد بن جعفر بن نصر بن زياد الهواري، من أهل أفريقية من هذه الطبقة أعني الرابعة. أخذ عن ابن عبدوس، وابن سحنون، ويحيى بن سلام، وحماس القاضي وأحمد بن لبدة ويحيى بن عمر والعاصي سمع منه ابن حارث وأحمد بن حزم وغيرهما من القرويين الأندلسيين وعليه تفقَّه أكثر القرويين كان عالما متقدِّما بأصول العلم حاذقا بالمناظرة وفيه ملية بالشواهد والتَّنظُّر حسن الحفظ فقيه الصَّدر جيِّد الفريحة حسن الكلام في علم الفرائض، والوثائق يكتب ويحسب صحيح المذهب شديد التَّواضع سليم القلب بعيدا عن التَّصعُّع وكان لا ينظر ولا يتصرَّف في شيء من العلم غير مذهب مالك فإذا تكلم فيه كان فائقا راسخا في المذهب حاضر الجواب وكان قليل الكتب علمه في صدره. ابن فرحون، الديباج المذهب، 34/1.

⁶² ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 82.

⁶³ أحمد بن نصر الدَّاؤْدِيَّ الطرابلسي التلمساني حياته وآثاره، مقالة للأستاذ عزَّ الدين زغبية الجزائري، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي وتنقلات العلماء والكتب أيام 20-23 ديسمبر 1995م، مراجعة وتقديم عبد الله الهزامة، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، طرابلس، ليبيا.

ثالثا: ومّا يرجح أنّ الدّأوديّ لم يدخل القيروان، أنّ صاحب كتاب معالم الإيمان⁽⁶⁴⁾، لم يذكره في كتابه، على الرغم من أنّه استوعب ذكر جميع من له صلة بالقيروان، والله أعلم.

رابعا: أمّا ما استدل به الأستاذ أنّ بعض أبناء ابن أبي زيد القيرواني قد أخذوا عنه، فليس بالضرورة أن يكون ذلك في القيروان، وعدم ورود خبر ذهابهم إليه في طرابلس، لا يكفي دليلا على دخوله القيروان، إذ ذهابهم إليه أكثر احتمالا من مجيئه إلى القيروان وهي ما زالت في سلطة العبيديين؛ والله أعلم.

خامسا: قد يكون اختلط الأمر على الباحث في الأعلام فجعلها واحدا، كما وقع للزركلي. فهناك عالم آخر يقال له أيضا: أحمد بن نصر الدّأوديّ، وهو غير الدّأوديّ، الذي تحدث عنه، وهو الذي ترجم له صاحب شجرة النور الزكية برقم (153)، وهو أقدم، لأنّه توفي سنة 307هـ، وقد ذكره للتمييز بينه وبين أحمد بن نصر بن زياد الهواري المتوفى سنة 319هـ؛ إذ قال: "وفي المالكيين القرويين من يشبهه، وهو أحمد بن نصر الدّأوديّ المتوفى سنة 307هـ".⁽⁶⁵⁾

سادسا: جاء في كتاب الصلة لابن بشكوال نصوص، تشير إلى وجود العلامة الدّأوديّ بالقيروان منها:

■ جاء في ترجمة أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ: "من أهل البيرة سكن قرطبة، يكنى: أبا العباس، روى ببلده عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، وسمع أيضا من أبي أيوب سليمان بن بطلال البطليموسي كتاب الدليل إلى طاعة الجليل من تأليفه وكتاب أدب المهموم من تأليفه أيضا، وسمع أيضا من أبي سعيد الجعفري، وسلمة بن سعيد الأستجي، ورحل إلى المشرق وحج ولقي أبا الحسن القابسي بالقيروان، وأحمد بن نصر الدّأوديّ وغيرهما"⁽⁶⁶⁾

■ وفي ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطين بن أصبغ بن فطيس بن سليمان: "وكتب من أهل القيروان: أبو محمد أبي زيد الفقيه، وأبو أحمد بن نصر الدّأوديّ وغيرهما"⁽⁶⁷⁾

⁶⁴ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدّباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ت. 696هـ.

⁶⁵ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 82 رقم: 153.

⁶⁶ ابن بشكوال، الصلة، 14/1

⁶⁷ المصدر نفسه، 98/1

▪ وفي ترجمة عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ: "يعرف بابن الفرضي... وأخذ بالقيروان عن أبي محمد بن أبي زيد الفقيه، وأبي أحمد بن دحمون، وأحمد بن نصر الداودي وغيرهم" (68)

▪ وجاء في ترجمة عبد الرحمن بن سعيد بن جرج: "سكن قرطبة وأصله من البيرة، يكنى أبا المطرف، روى ببلده عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، ورحل إلى المشرق وحج سنة تسع وتسعين وثلاث مائة، وأخذ بالقيروان عن أبي الحسن علي بن أبي بكر القاسبي، وأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي وغيرهما" (69).

فإن صحت هذه النقول، فيمكن توجيهها بما ذكره الدَّبَّاغ "إلا أن سكوت المترجمين عن ذكر مسألة دخوله القيروان ربما يعود لقصر المدة التي أقام فيها، أو لكونها لم تكن مقصودة في رحلته وإنما دخلها عرضاً مما يجعلها غير ذات أهمية في رحلته وترجمته" (70) ومهما يكن من أمر، فإننا لا نريد أن نلصق هذا الإمام الكريم بتربة معينة، ونضيع وقتنا في مالا يخطر للمؤلف ببال، ولكن البحث العلمي، يقتضي التحري والدقة والبعد عن ظلم هذا الإمام، ولقد كتب للداودي أن يظلم في كل زمان، قديماً لم يوقّه العلماء حقّه في ترجمته، وحديثاً خلط كثير من المحققين، بينه وبين غيره، كما سيأتي بيانه.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه: بعد الوقفات التي ذكرناها عن عصامية الداودي، في طلبه للعلم وأنه "كان درسه وحده ولم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه" وقد ناقشنا هذه العبارة ووجدنا أسماء مشايخ تلقى عنهم، وكتب عنهم، وقد أجازوه بمروياتهم ومؤلفاتهم وهم:

1. أبو سليمان ربيع بن القطان بن عطاء الله القرشي (ت: 333هـ).
تفقه عليه الداودي ولازمه (71)

⁶⁸ ابن بشكوال، الصلة، 79/1

⁶⁹ المصدر نفسه، 105/1

⁷⁰ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، ط2،

1388هـ، 57/3

⁷¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 311/5، ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 94.

2. إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الزيري المعروف بالقلانسي (ت: 359هـ).⁽⁷²⁾
3. أبو الحسن بن علي بن محمد بن مسرور الدَّبَّاغ (ت: 359هـ).⁽⁷³⁾
4. إبراهيم بن هارون بن خلف (ت: 360هـ).⁽⁷⁴⁾
- روى عنه الدَّأُوْدِيّ الموطأ. ⁽⁷⁵⁾
5. أبو بكر محمد بن سليمان النّعالِي (ت: 380هـ).⁽⁷⁶⁾

⁷² قال ابن فرحون: "سمع من فرات بن محمد وحماس بن مروان، والمغامي، ومحمد بن عبادة السّوسي وخلق كثير. روى عنه إبراهيم بن سعيد وأبو جعفر الدَّأُوْدِيّ، وغيرهما". والقلانسي من العلماء الذين تصدّوا للعبيديين والمذهب الإسماعيلي بأفريقية، فنهال أذى كبير من موقفه هذا، يقول ابن فرحون: "امتحن على يد أبي القاسم ابن عبد الله الرّافضي، ضربه سبعمئة سوط وحبسه أربعة أشهر بسبب تأليفه كتابا في الإمامة، وقيل بسبب كتاب الإمامة الذي ألفه ابن سحنون، توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وخمسين، وقيل سنة إحدى وستين وثلاثمئة". ابن فرحون، الديباج المذهب، 88/1. ابن مخلوف، شجرة التّور، ص: 83، رقم 161.

⁷³ "واجتمع بأبي الحسن الدينوري، سمع منه أبو الحسن القابسي، وأبو عبد الرحمن بن محمد الربيعي، وأبو جعفر الدَّأُوْدِيّ..."، ينظر: ابن الأبار البلسي، التكملة لكتاب الصلة، 116/1.

⁷⁴ إبراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد المصمودي من البزري؛ من أهل الأشتونة، يُكنى أبا إسحاق، ويُعرف بابن الرّاهد، سمع من محمد بن عبد الملك بن أنتم، وقاسم بن أصبغ، وغيرهما، وحَدَّث أَنَّهُ أَقام بِقُرطبة - في طَلَبِ العِلْم - أربعين سنة، وكان ضابطاً لما كتب، ثِقَّةٌ فيما روى، وتُوفِّيَ سنة ستين وثلاث مائة. عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت: 403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م، 26/1.

⁷⁵ ذكر ذلك أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الصّابون (وهو أحد تلاميذ الدَّأُوْدِيّ، ينظر ترجمته في تلاميذ الدَّأُوْدِيّ)، في برنامجه وحدث بموطأ مالك رواية أبي المصعب الزهري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي ويحيى بن يحيى الأندلسي، وعن الدَّأُوْدِيّ عنه ". وهذا يعني أنّ هشام بن عبد الرحمن (ت: 423هـ) حدّث بالموطأ عن الدَّأُوْدِيّ، عن شيخه إبراهيم بن خلف. ينظر: أبو عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت: 659هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م، 115/1.

⁷⁶ فقد نقل البرزني في فتاويه قال: "نقل المازري عن الدَّأُوْدِيّ في (التّصحيح)، عن النّعالِي (نسبة إلى عمل النّعال، ينظر: ترتيب المدارك، 481/2، الديباج 211/2، نيل الانتهاج، 258): "يسقط فرض الحجّ عمن أُراده وإن لم يحرم" (ينظر: البرزني، فتاوى البرزني: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفتن والحكام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م، 592/1). فلا يبعد زماناً ولا مكاناً أن يكون الدَّأُوْدِيّ سمع من النّعال، فقد ذكر الونشريسي أنّ أبا بكر النّعال سئل من (برقة) عمن قال لامرأته... الخ (ينظر: أحمد بن يحيى الونشريسي، المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللاتق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، مطبعة الحاج الطيب الأزرق، فاس، المغرب، 1298هـ، ط. حجرية، 776/2. توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة تيطوان بالمغرب، وذكره رضا عمر كحالة في معجم المؤلفين باسم المنهج الفائق في أحكام الوثائق، وتوجد منه نسخة أخرى بتازة رقم: 352، وتوجد مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم: 1216). فالظاهر من هذا النصّ أنّ النّعال كان بركة وهي مدينة قريبة من طرابلس، فترجح أن يكون الدَّأُوْدِيّ التقى به وأخذ عنه.

6. أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت: بعد سنة 460هـ) وأخوه عمر بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت: 460هـ)⁽⁷⁷⁾

ثانياً: تلاميذه: لقد تخرج على يد هذا العالم خلق كثير، إذ إنّه أُملى مؤلفاته، في مجالس التدريس، وشرحها، وأجاز بها الكثير من علماء ومشايخ عصره، فالمصادر قد أجمعت على أنّ الدَّأُوْدِيَّ ألفَ كتابه في شرح الموطأ، وأَمَلاه على طلبته في طرابلس، وتلمذ على هذا الشيخ علماء أجلة، وقفنا على أسماء بعضهم، وهم:

1. أحمد بن محمد بن عبيدة، الأموي، المعروف بابن ميمون (ت: 400هـ).⁽⁷⁸⁾
2. أصبغ بن الفرج بن فارس الطَّائِي، أبو القاسم، القرطبي (ت: 400هـ).⁽⁷⁹⁾
3. عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، أبو المطرف (ت: 402هـ).⁽⁸⁰⁾
4. عبد الله بن عمر بن يونس بن نصر، أبو الوليد (ت: 403هـ).⁽⁸¹⁾
5. راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن راشد أبو عبد الملك القرطبي (ت: 404هـ).⁽⁸²⁾

⁷⁷ ذكر من أنّ بعض أبناء ابن أبي زيد القيرواني قد أخذوا عنه وهما أبوبكر بن عبد الله بن أبي زيد (ت: 460هـ) وأخوه عمر بن عبد الله (ت: 460هـ) وكانت لهما بالقيروان، مكانه جليّة، بأبيهما وتقدّمهما، وولي قضاء القيروان، قبل الفتنة، وكتب أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ عنهما، ينظر: عياض، ترتيب المدارك، 4/117.

⁷⁸ من أهل طليطلة، رحل إلى المشرق سنة 380هـ، وسمع بالمسيلة من أبي عبد الله محمد بن أبي زيد، وأبي جعفر الدَّأُوْدِيَّ، ينظر: ابن بشكوال، الصلّة، 1/51.

⁷⁹ رحل إلى المشرق، فأخذ عن أبي الحسن بن جهضم المكي، وعبد الغني بن سعيد، وأجاز له أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ، ينظر: ابن بشكوال، الصلّة، 1/179.

⁸⁰ قاضي الجماعة بقرطبة كتب إليه من المشرق والقيروان كثير من العلماء، منهم أبو الحسن الدارقطني، وابن أبي زيد وأحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ، ينظر: ابن بشكوال، الصلّة، 2/466، ابن مخلوف، شجرة التور، ص: 102.

⁸¹ المشهور بابن الفرضي، القرطبي، صاحب تاريخ الأندلس، وزميل ابن عبد البر في الطلب، رحل إلى الشرق سنة 382هـ حاجاً، فأخذ عن علماء كثيرين، منهم ابن أبي زيد القيرواني، وأحمد بن نصر الدَّأُوْدِيَّ وغيرهم، ينظر: القاضي عياض، الغنية فهرسة شيوخ القاضي عياض، اليحصبي، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979م، ص: 172-173، وينظر: ابن بشكوال، الصلّة، 1/391، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ، 17/177، الذهبي، تذكّر الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 3/1076، الذهبي، تاريخ الإسلام، 28/82.

⁸² رحل إلى المشرق، فكتب عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد المكي، وأبي القاسم السَّقَطِي، وأبي جعفر الدَّأُوْدِيَّ، وغيرهم، ينظر: ابن بشكوال، الصلّة، 1/295.

6. هشام بن عبد الرحمن المعروف بالصّابوني، أبو الوليد (ت: 423هـ).⁽⁸³⁾
7. أحمد بن سعيد بن علي، أبو عمر الأنصاري، القنطاري، القرطبي (ت: 428هـ).⁽⁸⁴⁾
8. أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد، القيسي السّبيتي، أبو بكر (ت: 429هـ).⁽⁸⁵⁾
9. كامل بن أحمد بن يونس الغفاري القادسي (ت: 430هـ).⁽⁸⁶⁾
10. أحمد بن محمد بن يحيى القرشي الأموي (ت: 431هـ).⁽⁸⁷⁾
11. أحمد بن أيوب بن أبي التّريّع الإلبيري الواعظ، أبو العباس (ت: 432هـ).⁽⁸⁸⁾
12. أحمد بن محمد بن ملاّس، أبو القاسم الفزاري الإشبيلي (ت: 435هـ).⁽⁸⁹⁾
13. عبد الرحمن بن سعد بن فرج، أبو المطرف (ت: 439هـ).⁽⁹⁰⁾

⁸³ رحل إلى المشرق وروى عن أبي الحسن القابسي، وأبي القاسم الدهكي، وأبي جعفر الدّاؤديّ، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 934/3، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصّلة، 115/1، الذهبي، تاريخ الإسلام، 44/7.

⁸⁴ (المعروف بابن أبي الحّال، من أهل قّادس، ولد في حدود سنة 368هـ، سمع بقرطبة، ثمّ رحل، وأخذ عن أبي زيد، وأبي محمد بن أبي زيد، وأبي جعفر الدّاؤديّ، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 81/1، الذهبي، تاريخ الإسلام، 208/29.

⁸⁵ أصله من إشبيلية ثمّ رحل إلى سبته سنة 370هـ، ثمّ رحل بعدها إلى المشرق، فسمع من أبي محمد بن أبي زيد، والدّاؤديّ وغيرهم، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 85/1.

⁸⁶ من أهل قّادس، سكن إشبيلية، قال ابن بشكوال: "وله رحلة إلى الشّرق روى فيها عن أبي جعفر الدّاؤديّ، وأبي الحسن القابسي، وأبي بكر ابن عبد الرحمن الرّاندي، والليبي، وغيرهم..."، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 475/2، وياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، لبنان، 291/4.

⁸⁷ الرّاهد، المعروف بابن الصّقلي، أخذ العلم عن أبي محمد بن أبي زيد، وأبي جعفر الدّاؤديّ وغيرهم، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 143/1. سكن القيروان ذكره ابن خزرج وقال: كان منقطعاً في الصّلاح والفضل، قدّم العناية بطلب العلم بالأندلس وغيرها.

⁸⁸ سكن قرطبة، رحل إلى المشرق حاجاً، فلقى أبا الحسن القابسي وأحمد بن نصر الدّاؤديّ، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 89/1.

⁸⁹ حجّ وأخذ عن أبي الحسن بن جهضم وأبي جعفر الدّاؤديّ، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 86/1، الذهبي، تاريخ الإسلام، 413/29.

⁹⁰ سكن قرطبة، ورحل فأخذ عن القابسي والدّاؤديّ، ينظر: القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، 741/2، ابن بشكوال، الصّلة، 475/2، الحموي، معجم البلدان، 296/4.

14. مروان بن علي البوني، أبو عبد الملك (ت:440هـ).⁽⁹¹⁾
15. أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، أبو بكر (ت:460هـ).⁽⁹²⁾
16. عمر بن عبد الله بن أبي زيد أبو حفص (ت:460هـ).⁽⁹³⁾
17. حيّون بن خطاب بن محمد.⁽⁹⁴⁾

⁹¹ نسبة إلى بونة عنابة حالياً، فقد عدّه ابن الأثير (ت:555هـ) من أصحاب أبي الحسن القابسي، ينظر: ابن الأثير، الجزري، اللباب في تحذيب الأنساب (الأنساب للسمعاني)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1400/1980م، 1/188. وقال عياض: "وتفقه بأحمد بن نصر الدّاؤدي"، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، 2/709-710. وقد كان لأبي عبد الملك البوني الفضل في حفظ كتب شيخه الدّاؤديّ وأسانيده، وعن طريقه تلقاها العلماء. فقد ذكر ابن خير الإشبيلي مؤلفات الدّاؤديّ، فقال: (توالمف أحمد بن نصر الدّاؤديّ وجميع رواته عن شيوخه)، ثم قال: "حدثني بها أبو محمد بن عتاب وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، رحمهما الله، كلامها عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء، عن أبي عبد الملك مروان بن علي القطان، البوني، عنه... من ذلك أيضا ما ذكره القاضي عياض من أسانيده في رواية الموطأ، فقد ترجم لشيخه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني المعروف، ثم ذكر أنّه حدثه بكتاب أحمد بن نصر الدّاؤديّ عن أبي عبد الملك البوني عنه وحدثني بها شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد المقرئ عن خاله أبي عبد الله أحمد بن الخولاني، عن أبي عبد الملك مروان بن علي البوني عنه"، ينظر: أبوبكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 391-392. وفي طرابلس التقى بالإمام أبي جعفر الدّاؤديّ المسيلي الذي كان مقيما بها، وجلس إليه وامتدت إقامته عنه لتبلغ خمس سنين، حيث أخذ عنه علومه، ومؤلفاته، وكان أثره عليه واضحا، كما يظهر من طريقته في شرح الحديث. ثم استقرّ آخر أمره في عنابة، ينشر علمه وأدبه بين أهلها ومن يقبل عليه من طلاب العلم من غيرها، حتى اشتهر أمره في بلاد المغرب كلّها، كما قال الحميدي، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر الأندلس، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1403/1983م، 1/342، الذهبي، تاريخ الإسلام، 29/507.

⁹² ابن صاحب الرسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني الشّهير (ت:386هـ)، كان قاضيا في القيروان، ومن أشهر فقهاءها، ينظر: ابن مخلوف، شجرة التّور الزّكية، 116.

⁹³ أخو أبو بكر أحمد المذكور سابقا، لم يذكره المترجمون من تلاميذ الدّاؤديّ لكن صاحب (الشجرة) ذكر في ترجمته ما يستخلص منه أنّه تتلمذ عليه، حيث قال: شارك أخاه القاضي أبا بكر في شيوخه، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، 2 / 117، ابن مخلوف، شجرة التّور الزّكية ص: 126. فدل هذا على أنّهما اشتركا في الدّرس على أحمد بن نصر الدّاؤديّ.

⁹⁴ من أهل طليطلة الأندلسي، يكنى أبا الوليد، رحل، وأخذ بالمشرق عن الدّاؤديّ، والقابسي، والبراذعي، وغيرهم، ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402هـ، 1/357. لم أعر على تاريخ وفاته.

18. يوسف بن عبد البرّ النّرمي، أبو عمر (ت: 463هـ).⁽⁹⁵⁾

19. أبوعبد الملك البرقي.⁽⁹⁶⁾

20. حجاج بن محمد بن عبد الملك (وعند الذهبي عبد الله)، أبو الوليد، اللّحمي، المراكشي الإشبيلي⁽⁹⁷⁾.

21. عبد الرحمن بن عبد الله بن خالص الأموي، أبو محمد⁽⁹⁸⁾

22. أبو علي بن الوفاء⁽⁹⁹⁾

وهذه جملة ممّا تيسّر لنا جمعه من تلاميذ الدّاؤديّ، من المصادر المتوافرة، ولعلّ البحث في ثنايا المخطوطات، سيعرفنا على عدد آخر من تلاميذه، وشيوخه، ممّا سيكشف الغطاء عن حقيقة عصامية الدّاؤديّ، في طلبه للعلم، وهذا نظرا لمكانة الإمام الدّاؤديّ، وشهرته بين أهل العلم، في زمانه وبعد ذلك.

⁹⁵ قال ابن عبد البرّ: "كتب إليّ أحمد بن نصر الدّاؤديّ بإجازة ما رواه، وآلّفه"، ينظر: أبوبكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 392، ابن حجر، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة، تح: محمد شكور الميادني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ/1988م، 398/1، وعلي بن الفضل المقدسي (ت: 611هـ)، الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين، أضواء السلف، السعودية، تح: محمد سالم بن محمد بن جعان العبادي، ص: 220، والقاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 353/2. والإمام ابن عبد البر شيخ من علماء الأندلس وكبير محدّثيها في وقته، وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة، لزم أبا الوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيرا من علم الرجال والحديث، وهذا الفن كان الغالب عليه له تأليف كثيرة وجليلة أهمها: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، "الاستدكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه موطأ مالك من الرأي والآثار"، "الاستيعاب لأسماء الصّحابة"، "جامع بين العلم وفضله" وذكر غير ذلك، توفي بشاطبة سنة 463هـ، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، 353/2. وقال الذهبي: "وكتب إليه من المشرق: السّقطي، والحافظ عبد الغني، وابن سبيخت، وأحمد بن نصر الدّاؤديّ وأبو در المروي"، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18 / 157.

⁹⁶ نسبة إلى بركة، وهي قرية من طرابلس، وهذا ذكره الذهبي وقرن معه أبا بكر بن الشّيخ في الأخذ عن الدّاؤديّ، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 507 / 29، ولعلّ هذا التّصحيف من الذهبي وآتة هو أبوعبد الملك البوني.

⁹⁷ رحل إلى المشرق فأخذ عن أبي الحسن القابسي، والدّاؤديّ وغيرهم، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 245/1، الذهبي، تاريخ الإسلام، 67/7.

⁹⁸ من طليطلة، رحل إلى المشرق، فروى عن أبي جعفر الدّاؤديّ، وغيره، ينظر: ابن بشكوال، الصّلة، 488/2. لم أعثر على تاريخ وفاته.

⁹⁹ من أهل سبتة، ذكره القاضي عياض في عداد تلاميذ الدّاؤديّ قائلا: "من أهل بلدنا"، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، 104 / 7. ولم يذكر شيئا عن وفاته، ولم أجد له ترجمة مستقلة فيما لدي من مصادر.

هذا ما تمّ إحصاءه من كتب التّراجم عن تلامذته، وأمّا من صحب الدّاؤديّ، فقد ذكر ابن

مریم منهم:

1. علي بن يحيى السلکسینی الجاديري (ت: 972هـ).⁽¹⁰⁰⁾

2. محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن رحمة المطفري.⁽¹⁰¹⁾

والذي يظهر من تأخر وفاة علي بن يحيى السلکسینی، أنّ أحمد بن نصر الدّاؤديّ، الذي

ذكره ابن مریم غير أبي جعفر أحمد بن نصر الدّاؤديّ (ت: 402هـ)، وقد مرّ معنا، فيما سبق، أنّ صاحب البستان لم يترجم للدّاؤديّ.

المطلب الرابع: عقيدته ومذهبه الفقهي:

أولاً: عقيدته:

كان الإمام الدّاؤديّ مناهضاً لدولة بني عبيد، منتقداً من يشايهم، وكان موقفه صريحاً

بعيداً عن المواراة والتّفاق. فقد عاصر الدّاؤديّ الدولة العبيدية المسماة بالفاطمية زوراً، وقد انقسم العلماء حيالها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شايعها وهم قليل.

القسم الثاني: تشدّد فكّرهم ومنع التعامل معهم.

القسم الثالث: توسّط فلم يتعامل معهم ولم يكفّرهم.

فقد كان الدّاؤديّ من القسم الثاني، بل ذهب إلى أبعد من تكفيرهم، إلى تكفير من

يشايهم.⁽¹⁰²⁾

¹⁰⁰ هو علي بن يحيى السلکسینی الجاديري الفقيه الخطيب العالم العلامة المحقق الولي الصالح الصوفي، كان محققاً في العلوم وأكثر التحقيق في الحساب والفرائض ومختصر أبي الحاجب الفرعي والرسالة مختصر خليل وعقائد السنوسي وأحكام القرآن والإعراب وكان بطول نماره صائماً يدرس العلم طول النهار ولا يفتّر عن الدرس وكان ﷺ إماماً لمسجد أجادير يدرس فيه العلم إلى الضحى، الفقيه العالم المحقق صاحب أحمد بن نصر الدّاؤديّ وهو من الأولياء الصّالحين، ينظر: ابن مریم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 146.

¹⁰¹ وقد صحب أحمد بن نصر الدّاؤديّ، ينظر: ابن مریم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 285.

¹⁰² ينظر فتاوى العلماء في ترتيب المدارك، 719/3، 720، 767، الدباغ، معالم الإيمان، 177/3، أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 339/2.

وهذا نص الفتوى، التي أصدرها في حكم من يتعامل مع العبيدين، من خطباء المساجد، وغيرهم قال: "خطيبهم الذي يخطب لهم، ويدعو لهم يوم الجمعة كافر يقتل، ولا يستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث، ولا يورث، وماله في المسلمين، وتعتق أمهات أولاده ويكون مدبروه للمسلمين يعتق أثلاثهم بموته، لأنه لم يبق له مال، ويؤدّي مكاتبوه للمسلمين، ويعتقون بالأداء ويرقون بالعجز، وأحكامه كلها أحكام الكفر، فإن تاب قبل أن يعزل، إظهارا للندم، ولم يكن أخذ دعوة القوم قبلت توبته، وإن كان بعد العزل، أو بشيء منعه لم تقبل، ومن صلى وراءه خوفا أعاد الظهر أربعاً، ثم لا يقيم إذا أمكنه الخروج، ولا عذر له بكثرة عيال، ولا غيره..."⁽¹⁰³⁾

ولم يكن الإمام الدّاؤديّ بدعا في هذه الفتوى، بل أيده ووافقه عليها أو على بعض أجزائها جماعة من مشاهير علماء القيروان وغيرهم⁽¹⁰⁴⁾. فدلّ هذا على شخصية الدّاؤديّ القويّة، وعقيدته الرّاسخة، وتحمّله لأمانة العلم والعمل أمام الله تعالى والأمة.

فالدّاؤديّ وغيره من العلماء، الذين ناهضوا دولة بني عبيد، وصمدوا ضدّهم، وأفتوا بكفرهم، تبنوا المذهب السّني، فكان هذا الصّمود والتّحدي، ترسيخا للمذهب، وتعزيزا للعقيدة الصّحيحة.

فكان المذهب المالكي صمام أمان للمغرب الإسلامي، وقد حفظ للأمة دينها ووحدتها، وكان لها سدّا منيعا في وجه التّيّارات الوافدة: كالتّوافض والخارج، وغيرهم من أهل البدع والأهواء. وفي هذه المرحلة التي عاش فيها الدّاؤديّ، كان المذهب المالكي، بإفريقية والمغرب العربيّ عموما، بدأ يرتبط بالمذهب الأشعري، وظهر من المالكية، من تبنى العقيدة الأشعرية، تدريسا وتنظيرا، إذ اعتمدت كسلاح لمناظرة العبيدين، في أواخر القرن الرابع الهجري، وبهذا استطاع التوجه الأشعري التفرد بالساحة الكلامية بإفريقية والغرب الإسلامي كله⁽¹⁰⁵⁾. قال عبد العزيز دحّان: "يظهر أنّ الإمام الدّاؤديّ كان على مذهب أهل التّأويل الذي كان عليه كثير من العلماء، قبله، وبعده، وقد أورد ابن حجر، والعيني كثيرا من الأقوال في تأويل أحاديث النّبي ﷺ المتعلقة بصفات الله عزّ وجلّ".⁽¹⁰⁶⁾

¹⁰³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 274/7، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، 1/ 272.

¹⁰⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 7/ 276، 277، 278.

¹⁰⁵ ينظر محمد المصلح، أبو الحسن اللخمي وجهوده في تطوير الإتجاه النقدي في المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، دار

البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات، ط1، 1428هـ، ص: 111، 112، 157.

¹⁰⁶ عبد العزيز دحّان، الإمام أحمد بن نصر الدّاؤديّ محدثا وفقهيا، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2008، ص: 91.

ومن ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ...»⁽¹⁰⁷⁾؛ قال الدَّأُوْدِيُّ: "أراد قبول أعمالهما ورحمتهما والرضا عنهما"⁽¹⁰⁸⁾

ثانيا: مذهبه الفقهي:

كان الدَّأُوْدِيُّ مالِكيا، لكنّ رجلا مثله، يصفه عياض باتساع العلم، ويصفه غيره بالإستبحار في الحديث، لا يمكن أن يكون مقلدا محضا، بل كان يدرس أقوال المذاهب ويعرضها على السّنة فيمحصّنها، فقد كانت للإمام الدَّأُوْدِيُّ اختيارات واجتهادات تخالف الإمام مالك؛ ولنضرب لذلك بمثالين:

الأول: كراء الأرض بما يخرج منها، وهي ممنوعة عند مالك وأصحابه، وأجازها الدَّأُوْدِيُّ.⁽¹⁰⁹⁾

الثاني: قال ابن الحاجب في مختصره الفرعي: "وكره مالك ستة أيّام بعد يوم الفطر — وإن ورد- للعمل، وأجاز صوم يوم الجمعة منفردا. قال الدَّأُوْدِيُّ: لم يبلغه الحديث "110"، يقصد ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ».⁽¹¹¹⁾

والمسائل التي خالف فيها الدَّأُوْدِيُّ المذهب كثيرة، لا يمكن إهمال آرائه، ولا تغييبها عن مواقع الخلاف الفقهي في المذهب.

إنّ اجتهادات الدَّأُوْدِيِّ الفقهية، جعلت منه عالما مميّزا، في المذهب المالكي.

وليس هناك كتاب جامع لآراء الدَّأُوْدِيِّ في أبواب الفقه، ولكنّها موجودة، ومثبتة في ثنايا المسائل الفقهية، وقد نقلت لنا كتب الفقه والتّوازل والقضاء، عددا من تلك الآراء والتّوازل والمسائل والفتاوى، فمن أمثلة فتاويه:

¹⁰⁷ البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، رقم: 2671، 1040/3. مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، رقم: 1890، 1504/3.

¹⁰⁸ العيني، العمدة، 123/14

¹⁰⁹ الدّسوقي، حاشية الدّسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، 372/3، فتاوى البرزلي، 408/3.

¹¹⁰ النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت، 1997م، 439/6.

قال النووي: قال الدَّأُوْدِيُّ من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكا حديث التّهي، ولو بلغه لم يخالفه.

¹¹¹ البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الجمعة، رقم: 1884، 1504/3. مسلم، كتاب الصوم، باب كراهية صيام يوم الجمعة مفردا، رقم: 801/2، 1144.

- سئل الدَّأُوْدِيُّ عن بلد لا قاضي فيه ولا سلطان، أيجوز فعلُ عدوله في بيعهم وأشربتهم ونكاحهم؟ قال: "إنَّ العدول يقومون مقام القاضي والوالي في المكان الذي لا إمام فيه ولا قاض" (112)

- سئل الدَّأُوْدِيُّ هل للفقراء أخذ الزكاة من الغاصب؟ قال: "نعم، لأنَّه إن كان الزرع للغاصب فقد وجب وإن كان لربِّ الأرض فكذلك" (113)

- سئل الدَّأُوْدِيُّ ما حكم أهل الذمة الذين يمارسون الحراة؟ هل يعتبر ذلك نقضا للعهد؟ قال: "إن كان خروجهم من ظلم فهو نقض لأنهم لم يعاهدوا أن يظلموا من ظلمهم". (114)

- سئل الدَّأُوْدِيُّ عن حكم الجهاد بعد الفتح؟ قال: "بقي الجهاد فرضا بعد فتح مكة على من يلي العدو، وسقط عمن بَعُدَ عنه". (115)

ومن أمثلة الكتب التي حوت فتاويه وآرائه الفقهية:

- "المعيار المعرب عن فتاوى أفريقية والمغرب" للونشريسي. (116)
- "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحيى بن موسى المازوني (ت: 883هـ). (117)
- "الأحكام الجوازل في نبذ من التوازل" لأبي راس التَّاصِري الجزائري (ت: 1238هـ).
- "الفواكه الدواني على رسائل ابن أبي زيد القيرواني" لأحمد بن غنيم بن سالم القراوي الأزهرى المالكي.

¹¹² القاضي عياض وولده، مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، ، تح: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

¹¹³ البرزلي، فتاوى البرزلي، 171/5-172.

¹¹⁴ أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة في الفقه المالكي، تح: محمد حجي وغيره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994م، 462/3.

¹¹⁵ شمس الدّين أبوعبد الله محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطّاب الرُّعيني (ت: 902هـ)، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، 374/3.

¹¹⁶ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، 435/4-136.

¹¹⁷ وقد أشرف على تحقيقها أستاذنا محي قندوز من جامعة تلمسان، من كتاب الطهارة إلى كتاب العقيدة والله نسأل أن ييسر تحقيق هذه الموسوعة النوازلية، وقد طبعتها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر سنة 2012م.

- "جامع الأمهات" لابن الحاجب.⁽¹¹⁸⁾
 - "تعليق على المدوّة" و"شرح التلقين" و"فتاوى الإمام محمد بن علي بن محمد التميمي المازري(ت:536هـ).
 - "فتاوى ابن رشد."⁽¹¹⁹⁾
 - "الموافقات" لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الشهير بالشاطبي وغيرها من مصادر الفقه المالكي.
- وهذا الذكر ليس الغرض منه الاستقصاء، ولكن فتح باب للدراسين والباحثين، ليجمعوا له فتاويه، التي تناثرت في الكتب المطبوعة والمخطوطة، حتى يمكن طبعها عندئذ، في كتاب مستقل لتسليط الضوء على شخص الدّاؤديّ الفقيه المالكي
- ولقد قام عبد العزيز صغير دخان⁽¹²⁰⁾، بجمع فتاوى الإمام الدّاؤديّ، وآرائه الفقهية، مرتبة على أبواب الفقه - فجراه الله خيراً-، وما على الباحثين إلا دراسة هذه الآراء، ومناقشتها، وإضافة فتاوى، ومسائل فقهية أخرى، حتى يجمع تراثه الفقهي، في مصنف واحد.

¹¹⁸ عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي المالكي المعروف بابن الحاجب فقيه مقرئ أصولي نحوي صربي عروضي ولد عام 570هـ، ت. 646هـ، ومن مؤلفاته الكافية في النحو، والمقصد الجليل في علم الخليل، ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، 265/3.

¹¹⁹ أبو الوليد بن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه لمسائل المستخرجة، مطبعة المتوسطة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م، 561/2.

¹²⁰ موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الدّاؤديّ، المسيلي، التلمساني، المالكي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع طبعة خاصة 2013م، من الصفحة 289 إلى 388 من الجزء الثاني وقد وصل عدد المسائل إلى 215 مسألة.

المطلب الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

أولاً: مكانته العلمية:

لقد حفظت لنا كتب أهل العلم كثيرا من الأقوال والآراء والفتاوى للدَّأوْدِيّ، شهادة على آثاره، وإنتاجه العلمي.

ولقد كُثرت نقول العلماء عن الإمام الدَّأوْدِيّ، وهذا نظرا لما حظيت به أقواله، واجتهاداته في مسائل اللغة والحديث والفقه والتفسير من الاهتمام، فنهلوا منها، وأنزلوها منزلة عظيمة، حتى أنه قلما تجد كتابا صنّف بعد القرن الخامس الهجري في شرح الحديث، أو الفقه لا يكون اسمه فيه. وهذا الجدول يبيّن ستة وخمسين مصدرا ومرجعا، من جملة العلماء، الذين نقلوا عنه مع عدد المواضيع وعناوين كتبهم، وقد جاء استقراء هذه المواضيع عن طريق البحث الإلكتروني، فلا أزعّم أنّه استقراء تام، لكل المصنفات، التي ورد فيها أقوال وآراء الدَّأوْدِيّ.

الرقم	العالم	عدد المواضيع	عنوان الكتاب
01	أبو الحسن علي بن خلف بن بطل	25	شرح صحيح البخاري
02	عياض	81	مشارك الأنوار
03	//	08	مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام
04	//	01	التنبهات المستنبطة
05	ابن رشد	01	البيان والتحصيل
06	//	02	المقدمات والممهّدات
07	ابن عطية	02	المحرر الوجيز
08	القراي	08	الذخيرة
09	//	05	الفروق
10	القرطبي	04	الجامع لأحكام القرآن
11	ياقوت الحموي	06	معجم البلدان
12	ابن الحاجب المالكي	02	جامع الأمتها
13	التّووي	15	شرح التّووي على صحيح مسلم
14	//	01	المجموع شرح المذهب

15	التّووي	01	تَهذِيبُ الأَسْمَاءِ واللُّغَاتِ
16	ابن تيمية	01	كُتُبُ وَرِسَالَتِ وَفَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي التَّفْسِيرِ
17	ابن جزري	01	القَوَانِينُ الفَقْهِيَّةُ
18	ابن سرايا	01	سَلَاحُ الْمُؤْمِنِ فِي الدَّعَاءِ
19	وابن مفلح المقدسي	01	الفُرُوعُ
20	الشَّاطِطِي	01	المُؤَافَقَاتُ
21	ابن أبي الرّضا الحموي	01	أَصُولُ الْقِرَاءَاتِ
22	لَدَيْنَ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْصَارِيِّ	01	الْمُنْعُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ
23	الفَيْرُوزُ آبَادِي	01	الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ
24	ابن حجر العسقلاني	02	تَعْلِيقُ التَّعْلِيقِ
25	//	547	فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
26	بدر الدين العيني	640	عَمْدَةُ الْقَارِي
27	ابن مفلح الإبن	01	الْمُبْدَعُ فِي شَرْحِ الْمُنْعِ
28	ابن المواق	07	التَّاجُ الْإِكْلِيلِ
29	المقفّي	01	كَنْزُ الْعَمَالِ
30	السَّيُوطِي	01	الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
31	//	01	لِبَابِ الْعُقُولِ
32	//	01	تَدْرِيبُ الرَّائِي
33	//	01	التَّطْرِيقُ فِي التَّصْحِيفِ
34	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَطَّابُ	16	مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ
35	الْمَنَاوِي	01	الْبَوَاقِيتُ وَالْدَّرَرُ
36	مِيَارَةُ الْفَاسِي	04	شَرْحُ مِيَارَةِ
37	العاصمي المكي	03	سَمَطُ النُّجُومِ الْعَوَالِي
38	الزَّرْقَانِي	03	شَرْحُ الزَّرْقَانِي
39	النِّفْرَاوِي الْمَالَكِي	02	الْفَوَاكِهِ الدَّوَانِي
40	العجلوني	01	كُشْفُ الْخَفَاءِ وَمُزِيلُ الْإِلْبَاسِ
41	الصنعاني	03	سَبِيلُ السَّلَامِ

42	الدسوقي	04	حاشية الدسوقي
43	الشوكاني	02	فتح القدير
44	//	49	نيل الأوطار
45	الألوسي	02	روح المعاني
46	الشيخ عlish	05	منح الجليل مختصر خليل
47	العدوي	03	حاشية العدوي
48	الخرشي	01	شرح مختصر خليل
49	أبو الحسن المالكي	01	كفاية الطالب
50	أحمد الصاوي	01	بلغة السالك
51	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	02	شرح العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد
52	إبراهيم هلال	04	ولاية الله والطريق إليها
53	الزبيدي	05	تاج العروس
54	البهوتي	01	كشف القناع
55	السهيلي	01	الروض الأنف
56	البكري	01	فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

يجدر بنا التنبيه، أنّ عدد المواضيع التي ذكرناها في هذا الجدول، هي المواضيع التي وقع فيها التصريح باسم الدّاؤديّ، ولا شك أنّ هناك مواضيع أخرى لم يذكر فيها باسمه والله أعلم.

ثانيا: ثناء العلماء عليه:

بلغ الدّاؤديّ في الشّمال الإفريقي، هذه المنزلة التي استحق بها إعجاب معاصريه، ومن أتى بعده من العلماء، الذين عدّوه من أئمة المالكية، ومن ذوي الفضل والعلم، فقد أثنى عليه العلماء، وهذه طائفة من أقوالهم في نبوغ الدّاؤديّ ومكانته الكبيرة، عند علماء عصره وبعده:

1. قال القاضي عياض: "من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسعين في العلم المجيدين للتأليف... كان فقيها فاضلا، عالما، متفتّنا، مؤلفا مجيدا، له حظ من اللسان، والحديث والنظر"⁽¹²¹⁾. وهذه شهادة عظيمة من إمام كالقاضي عياض على مكانة الدّاؤديّ وأنّه نبغ في عدة علوم.

¹²¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 102/7

2. وقال السهيلي (ت: 581هـ): "الدَّأُوْدِيُّ من أهل الثقة والعلم".⁽¹²²⁾
3. وقال الذهبي: "أحمد بن نصر أبو جعفر الأزدي، الدَّأُوْدِيُّ المالكي، الفقيه كان بأطرابلس المغرب، فأملَى بما كتبه في شرح الموطأ، ثم نزل تلمسان، وكان ذا حظ من الفصاحة، والجدل".⁽¹²³⁾
4. وقال أبو الحسن عليّ بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني (ت: 789هـ): "وقد نقل الثقات الأثبات العلماء المحققون لما ينقلون، كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي الحسن عليّ بن خلف، وأبي جعفر أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيِّ، وأبي عمر بن عبد البر"⁽¹²⁴⁾. وهذا يدل على أنّ الإمام الدَّأُوْدِيّ كان من الأئمة المعدودين في المذهب المالكي بالمغرب العربي إلى جانب ملكته في اللسان وبراعته في الحديث والنظر، وعلى هذا تدل مؤلفاته "النَّامِي في شرح الموطأ" و"النَّصِيحَة في شرح صحيح البخاري".
5. وقال الشاطبي: "وانظر إلى ما حكاه ابن حبيب في كتاب الجهاد، وكذلك الدَّأُوْدِيّ في كتاب الأصول، فقيه الشَّفاء"⁽¹²⁵⁾ فهذا ثناء بليغ على كتاب الأموال للداودي.
6. وقال ابن فرحون: "وكان فقيها، فاضلا، متقنا، مؤلفا مجيدا، له حظ في اللسان، والحديث والنظر... وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه".⁽¹²⁶⁾
7. قال صاحب معجم المؤلفين: "أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيّ، الأسدي، المالكي (أبو جعفر) محدث فقيه، متكلم".⁽¹²⁷⁾

¹²² السَّهِيلِي، الرُّوضُ الْأَنْفُ في تفسِير سيرة ابن هشام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1/ 96.

¹²³ الذهبي، تاريخ الإسلام، 56/28.

¹²⁴ الخزاعي التلمساني، تخرِيج الدَّلالات السَّمْعِيَّة، تح: أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص: 630.

¹²⁵ إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز دار المعرفة، بيروت، 118/1.

¹²⁶ ابن فرحون، الديباج المذهب، 35/1، بدر الدين العيني، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 298/13.

¹²⁷ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 194/2.

8. أمّا العراقي (ت: 806هـ) فقد ذكره ضمن مشاهير أئمة المذاهب الفقهية⁽¹²⁸⁾، ووصفه في موضع آخر بأنه "من قدماء المالكية".⁽¹²⁹⁾

9. قال أبو عبد الله الأنصاري، المشهور بابن سعد التلمساني (ت: 901هـ): "كان رحمه الله علامة العلماء، من أكابر الأولياء، مشهوراً بإجابة الدعاء... كان من أئمة المالكية بالمغرب وكان فقيهاً، فاضلاً، إماماً، مقدماً".⁽¹³⁰⁾

10. وقال الحجوي الثعالبي: "فقيه متقن فاضل، مشارك في الحديث والنظر واللسان".⁽¹³¹⁾

ولعلّ من مجموع ذلك يتضح تقدير العلماء لجهود الدّاؤديّ العلمية، وثقتهم في نقل ما ينقله من الروايات والأحاديث، وإشارتهم إلى تنوّع ثقافته ومشاركته العلمية، التي تشمل كلاً من اللغة والفقه والعقيدة والمناظرة والجدل؛ وهو ما قد يثبت الحديث التالي عن مؤلفاته وكتبه.

المطلب السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية ووفاته:

أولاً: مؤلفاته وآثاره العلمية:

لقد خلّف الإمام الدّاؤديّ تراثاً علمياً عظيماً، في شتى الفنون، في الحديث والفقه، والعقيدة والأصول، واللغة والتفسير، تشهد له بعلو مكانته عند جميع العلماء، وهذه المصنفات منها ما هو مخطوط في خزائن بعض المكتبات العامة، ومنها ما هو مفقود، وما تمّ حصّره من كتب التراجم، والفهارس عشرة كتب هي:

1. شرحه على صحيح البخاري، الذي سمّاه: "التّصحيح في شرح صحيح البخاري" وهو شرح كامل لصحيح البخاري؛ إلا أنّه مفقود لا تعرف نسخته. وقد صرّح غير واحد من العلماء باسم هذا الكتاب، منهم المازري⁽¹³²⁾،

¹²⁸ زين الدين عبد الرحيم العراقي، طرح التثريب في شرح التّقريب، تح: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، 37/5.

¹²⁹ المصدر نفسه، 37/5.

¹³⁰ محمد بن أحمد بن سعد التلمساني، التّحجيم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تح: محمد أحمد الديباجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م، ص: 127.

¹³¹ محمد بن الحسن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي، الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م، 126/3.

¹³² محمد بن علي المازري، المعلم بفوائد مسلم، 2 / 102.

والقاضي عياض⁽¹³³⁾، والشريف العلمي في نوازل⁽¹³⁴⁾، وغيرهم، وذكره الإشبيلي في جملة المؤلفات التي رواها عن مشايخه⁽¹³⁵⁾. ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني⁽¹³⁶⁾، أنه أخذ شرح البخاري وشرح الموطأ للداودي، عن شيوخه وهذا نص كلامه: كتاب شرح موطأ، وكتاب شرح البخاري كلاهما تأليف أبي جعفر أحمد بن نصر، الداودي، المالكي، التلمساني: أنبأنا بهما أبو علي الفاضلي، عن أحمد بن علي الفاضلي، عن أحمد بن أبي طالب، عن جعفر بن علي، عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، عن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، عن يوسف بن عبد الله النمري، عنه إجازة، ومات سنة اثنين وأربعمئة⁽¹³⁷⁾. وقد ذكر الإمام ابن عبد البر أن الداودي كتب إليه بإجازة ما رواه وألفه⁽¹³⁸⁾، وهكذا وصلت إجازة الداودي ابن عبد البر إلى الحافظ ابن حجر عن طريق شيوخه أما الإمام بدر الدين العيني، فقد ورد في كتابه (عمدة القاري) ما دل على أنه كان يملك نسخة من كتاب الداودي، فقد قال: "وقع في كتاب الداودي، وابن التين⁽¹³⁹⁾ أن عبد الرحمن الواقع في رواية البخاري هو ابن عبد يغوث..."⁽¹⁴⁰⁾

2. التامي في شرح الموطأ: وهذا المؤلف مذكور كذلك في جميع المصادر التي ترجمت

للبداودي، وكذا سَمَاه ابن فرحون في الديباج. وذكر القاضي عياض وغيره أنه أملاه بطرابلس، قبل أن يرحل إلى تلمسان، وهذا يعني أن شرحه للموطأ سابق لصحيح البخاري تحدث ابن خير الإشبيلي عن تفسير الموطأ للداودي (التامي) فقال: "حدثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر، رحمه الله، قال: حدثني به أبو علي الغساني، قال: حدثنا به أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي،

¹³³ القاضي عياض، إكمال المعلم في شرح مسلم، 401/4

¹³⁴ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 568/2.

¹³⁵ أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي، 76/1. فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 76.

¹³⁶ هو أبو الفضل شهاب الدين الحافظ ابن حجر العسقلاني واسمه أحمد بن علي ينسب إلى عسقلان بفلسطين كان له عناية بالحديث واشتهر بعلمه وكتبه في هذا الفن ولد عام 773 هـ وتوفي عام 852 هـ، زادت تصانيفه على مائة وخمسون مصنفا، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 270/4.

¹³⁷ ابن حجر، المعجم المفهرس، ص: 398.

¹³⁸ ابن حجر، المعجم المفهرس، ص: 398. فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: 392.

¹³⁹ هو الإمام أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفا قسي "نسبة إلى صفاقس بتونس"، المتوفى سنة 611 هـ. ويعد المصدر الرئيس لأراء الداودي، وأقواله، واجتهاداته، ففي غياب نسخة من شرح صحيح البخاري، فلا يوجد أمامنا إلا ما نقله عنه ابن التين في شرحه، وعن طريقه نقل ابن حجر وبدر الدين العيني كثيرا من أراء الداودي وأقواله.

¹⁴⁰ بدر الدين العيني، عمدة القاري، 302/2.

حدّثنا به أبو عبد الملك مروان بن علي القطان ويعرف بالبّوني، صاحب الفقيه بطرابلس، وسكن معه مدة من خمس أعوام... وحدّثني به أيضا أبو محمد بن عتّاب، عن حاتم بن محمد الطرابلسي، نسبه المتقدّم⁽¹⁴¹⁾ كتابه النامي في شرح موطأ الإمام مالك، إذ أجمع الجميع على نسبة هذا الكتاب إليه وهو كذلك ولكن المتأخرين أشاروا إلى أنّ نسخة من هذا الكتاب توجد بخزانة القرويين برقم: 175، وهكذا انتشر خبر هذه النسخة، وتناقل ذلك بعض من عرّض لذكر الإمام الدّاؤديّ حتى صار ذلك أشبه باليقين.⁽¹⁴²⁾

وقد ذكر عبد الرّحمن الجليلي، أنّه توجد نسخة منه بمكتبة القرويين بفاس برقم: 527.⁽¹⁴³⁾ إلا أنّ الحسين بن محمد شواظ يقول بوجود جزء منه فقط ويحيلنا على فهراس مكتبة القرويين، 181/1، رقم المخطوط: 175.⁽¹⁴⁴⁾

وقد كان الظنّ كذلك أنّ منه نسخة بخزانة القرويين تحمل رقم: 175، حتى وفق الله تعالى عبد العزيز دخان - جزاه الله خيرا - وأثبت أنّ هذه النسخة ليست كتاب النامي، وإنّما هي تفسير الموطأ للإمام عبد الملك البوني تلميذ الدّاؤديّ، وقد قام بتحقيقه، وقد تولت وزارة الأوقاف القطرية طباعته وأمّا كتاب: "النامي في شرح الموطأ" فهو مفقود، نسأل الله عز وجل أن ييسر العثور على نسخة منه. فهو كتاب جليل حازبه الفضل على غيره، من جميع من تقدمه، أو تأخّر عنه، من علماء الإسلام.

3. كتاب التفسير⁽¹⁴⁵⁾: "تفسير القرآن المجيد" ذكر ذلك عبد الرّحمن الجليلي وقال: "إنّ المفسر عبد الرّحمن الثعالبي قد نقل عنه في كتابه الجواهر الحسان وكذا غيره من المفسرين"⁽¹⁴⁶⁾.

¹⁴¹ فهرسة ابن خير الاشيلي، ص: 392.

¹⁴² محمد العابد الفاسي، فهراس مخطوطات خزانة القرويين، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1399هـ/1979م، 181/1. - عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب 156/36. - الحسين بن محمد شواظ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدّار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، 1411هـ، 275/1.

¹⁴³ عبد الرّحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، 1 / 272.

¹⁴⁴ الحسين بن محمد شواظ، مدرسة الحديث بالقيروان، 1 / 275.

¹⁴⁵ قد يقول قائل لعل المراد بكتاب التفسير تفسير الموطأ، وهذا بعيد لأنّ كتاب تفسير الموطأ لتلميذه عبد الملك البوني وقد مرّ معنا أنّ الإمام الدّاؤديّ شرح الموطأ في كتاب سماه النامي، سيأتي الكلام على تفسير الدّاؤديّ في الفصل الثاني من الدراسة.

¹⁴⁶ عبد الرّحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، 1 / 272.

قال الثعالبي (ت: 875هـ): "وقال أحمد بن نصر الدَّأُوْدِيّ في تفسيره... " ⁽¹⁴⁷⁾ بل قال مصرّحاً: "ومهما ذكرت الدَّأُوْدِيّ في هذا المختصر، فإنّما أريد أحمد بن نصر المالكيّ، ومن تفسيره أنا أنقل" ⁽¹⁴⁸⁾، وهذا يؤكّد أنّ للدَّأُوْدِيّ تفسير القرآن الكريم، ومنه كان ينقل الثعالبي. ولعلّ مثل هذه الدّراسات تعجل في الكشف والعثور على هذا الكتاب المفقود أو خدمته وإتحاف أهل العلم به ويومئذ يفرح طلاب العلم بفضل الله تعالى.

4. الواعي في الفقه: ولا شك أنّه في الفقه المالكي، وسيأتي ذكرُ لآرائه الفقهية وفتاويه.

5. الإيضاح في الرّد على البكرية: وهو كتاب يرد فيه على إحدى الفرق الكلامية المنحرفة، واختلفت المصادر في اسمها؛ فمنهم قال: هي القدريّة ⁽¹⁴⁹⁾، ومنهم من قال: الفكرية ⁽¹⁵⁰⁾ ومنهم من قال: البكرية. والصّواب هو ما ذهب إليه الذهبي (ت: 748هـ) في تاريخ الإسلام ⁽¹⁵¹⁾ وهي البكرية، والطائفة البكرية نسبة إلى زعيمها القاسم عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الله البكري، الصّافي نزيل القيروان، الذي ادعى رؤية الله في اليقظة، وقد ألف الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وهو معاصر للدَّأُوْدِيّ، كتاباً سمّاه "الاستظهار في الرّد على البكرية"، لذا لا يبعد أن يكون مؤلف الدَّأُوْدِيّ هذا مشاركة منه، مع فقهاء القيروان، في الرّد على هذه الطائفة الضالة؛ والله أعلم.

6. كتاب البيان: ذكره القاضي عياض ⁽¹⁵²⁾، ونقله عنه غيره، وهو مفقود، ولا يعلم شيء عن موضوعه. وقد ذكر بعض الباحثين ⁽¹⁵³⁾ أنّه ربّما يكون كتاباً في أصول الفقه، ويحتمل أن يتعلق بقسم دلالات الألفاظ وتفسيرها، وأوجه بيان النصوص الشرعية للأحكام؛ والله أعلم.

¹⁴⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ/1983م، 69/1.

¹⁴⁸ المصدر نفسه، 163/1. إنّ هذا النص صريح من الثعالبي لا يحتمل التّأويل في إثبات نسبة كتاب في التفسير للإمام الدَّأُوْدِيّ، رغم أنّ كل من تقدّمه ممّن ترجم للدَّأُوْدِيّ لم يذكر أنّ له كتاباً في التفسير. وكلّ من قال بوجوده فعمدته الثعالبي.

¹⁴⁹ ابن فرحون، الدّيباج 35/1، ابن مخلوف، الشجرة ص11، الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، 121/2، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف 102/2.

¹⁵⁰ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 102/7، أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرین فيمن كان بطرابلس من الأعيان، ص: 71.

¹⁵¹ الذهبي، تاريخ الإسلام، 56/28.

¹⁵² القاضي عياض، ترتيب المدارك، 103/7.

¹⁵³ ذكر ذلك محققاً كتاب الأموال للدَّأُوْدِيّ، محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، 45.

7. كتاب الأسئلة والأجوبة: ذكره العلمي في نوازل⁽¹⁵⁴⁾، وذكر فؤاد سركين، أنّ منه نسخة مخطوطة بجامع الزيتونة بتونس برقم: 10486⁽¹⁵⁵⁾، وفي الموسوعة المغربية أنّ منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط برقم: 8178⁽¹⁵⁶⁾.

8. كتاب الأصول: ذكره القاضي عياض، وغيره⁽¹⁵⁷⁾ وربما يكون في أصول المذهب المالكي والله أعلم، وهو كتاب مفقود.

9. كتاب الأموال: وهو كتاب مطبوع وهومن أوائل الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع. والكتاب طبع أكثر من طبعة:

الطبعة الأولى: طبعة مركز إحياء التراث المغربي بالرباط، سنة 1988م، بتحقيق الأستاذ رضا محمد سالم شحادة، (رسالة جامعية)، وتحقيقه جيد.

الطبعة الثانية: طبعة دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، سنة 2001م، بتحقيق محمد حسن الشّلي⁽¹⁵⁸⁾

الطبعة الثالثة: طبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية من تحقيق الأستاذين: محمد أحمد سراج و علي جمعة محمد.⁽¹⁵⁹⁾

¹⁵⁴ عيسى بن علي الحسني العلمي، النوازل، تج: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف، 1403هـ/1983م، 2/266.

¹⁵⁵ فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م، 3/175.

¹⁵⁶ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارة، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 156/3.

¹⁵⁷ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 7/103.

¹⁵⁸ قال الأستاذ عبد العزيز دخان: "والحقيقة أنّ هذا المحقق قد أسرف على نفسه وارتقى مرتقى صعبا، وأساء إلى الكتاب إساءة بالغة، وجانب قواعد التحقيق العلمي المتبعة، والمعروفة بين العلماء، وكشف عن عجز واضح في هذا الباب، كان الأولى تركه مستورا". الإمام أحمد بن نصر الداودي محدثا وفقها، ص: 84.

¹⁵⁹ قال رضا محمد سالم شحادة: " فوجئت بأنّ كتاب الأموال لأبي جعفر الداودي، والذي حصلت بتحقيقه ودراسته على درجة الماجستير ودبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية من دار الحديث الحسنية، جامعة القرويين، الرباط المغرب، 1988م بأن تقدم الدكاترة بأخذ الكتاب المحقق، وطبعوه في دار السلام للطباعة والنشر والترجمة بالقاهرة ووضعوا اسمهما على الكتاب (دراسة وتحقيق) وادعيا بأنّه مخطوط كامل ينشر للمرة الأولى؟ "وهذا غش وكذب وادعاء باطل، وسرقة علمية ما كان لهما أن تفعل ذلك، وأنتما أستاذنا الشريعة، وما هو حكم الشرع في سرقة مجهود الآخر؟ فالكتاب الذي نقلتموه كان مليئا بالأخطاء المطبعية التي وقعتم فيها، ليظهر الله عزّ وجلّ فعلكما المشين"، ينظر كتاب الأموال، تج: رضا محمد سالم شحادة، طبعة مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، المغرب، 1988م، ص: 5.

ولهذا الكتاب نسختين مخطوطتين:

الأولى: النسخة بمكتبة الاسكوريال برقم 1165 / 1، والتي كتب سنة 677هـ.⁽¹⁶⁰⁾

الثانية: نسخة الرباط، وهي الخزانة العامة بالرباط، ورقمها 98 أوقاف.⁽¹⁶¹⁾

10. آداب القضاء⁽¹⁶²⁾: وفي نوازل الشريف العلمي، عن أبي العباس أحمد بن علي الرقاق، قال: "كان بطرابلس، ثم انتقل إلى تلمسان، وبها ألف كتباً كثيرة، منها: التّصحيح في شرح كتاب البخاري".

وقال أيضاً: "كان إماماً متقناً... توفي بتلمسان، سنة 442هـ"⁽¹⁶³⁾. وهذا النص يفيدنا، أنّ صيغة التّكثير (كتباً كثيرة) المذكورة تدل على أنّ له كتباً أخرى غير ما ذكر في ترجمته؛ والله أعلم، ونأمل أن تكشف الأيّام والدّراسات عن هذه الكنوز الضّائعة.

هذه الكتب التي ذكرها المترجمون ولا يقتضي هذا الذكر الحصر فلقد أشار القاضي عياض إلى ذلك عند ذكره لكتاب "البيان" للداودي. فقال: "وغير ذلك"⁽¹⁶⁴⁾ وهذا يعني أنّ للداودي كتباً أخرى كان القاضي يعرفها، لكنّها لم تصل إلينا.

ويجدر بنا التنبيه، في ختام مبحث مؤلفات الدّاوديّ وكتبه، إلى مسألة أشار إليها بعض المحققين، وهي أنّ اختفاء وفقد كتب الإمام الدّاوديّ مرده لما عرف بنكبة المذهب المالكي الثانية في المغرب العربي، إشارة إلى الأحداث السّياسية التي حدثت أواخر القرن السّادس وأول السّابع، وهو العصر الذي ازدهر فيه المذهب الظاهري لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) إذ أنّ كثيراً من الكتب الفقهية والحديثية فقدت إمّا بالإحراق، أو بالإخفاء، ولعلّ مؤلفات الإمام الدّاوديّ تكون من ضمنها؛ والله أعلم.

¹⁶⁰ الدّاوديّ، الأموال، دراسة وتحقيق مركز الدّراسات الفقهية والاقتصادية، دار السلام للطباعة والنّشر والتوزيع والرّجمة ط4، ص: 45.

¹⁶¹ المصدر نفسه، ص: 46.

¹⁶² ذكر هذا المؤلّف الباحث الجزائري في المخطوطات بلقاسم بشير ضيف في فهرسة معلمة التراث الجزائري، مكتبة طريقة العلم، مراجعة عثمان بدري، ط2، (د ت)، ص: 199.

¹⁶³ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 101/2، والصّواب أنّه توفي سنة 402هـ. ينظر: وفاة الدّاوديّ، ص: 87. هذه الدّراسة الموجزة لبعض مؤلفاته، تعطينا رؤية واضحة عن شخصيته العلمية الفذة، شخصية لم يكن لها نصيب وافر من الشّهرة والمعرفة، إلّا من خاصّة العلماء الذين ينقلون عنه، والحقّ يقال أنّ الإمام الدّاوديّ، إمام وفقه ومحدث، مفسّر، إمام من أئمّة المالكية الأعلام، الذين دافعوا بحق عن عقيدة أهل السنة.

¹⁶⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 103/7.

ولقد نقل المراكشي (ت: 706هـ) في كتابه: "في أيامه (أي أيام يعقوب⁽¹⁶⁵⁾) هذا" انقطع علم الفروع، وخافه العلماء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من أحاديث رسول الله ﷺ والقرآن، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس أن يؤتى منها بالأحمال، فتوضع ويطلق فيها التار".⁽¹⁶⁶⁾

ولعل ما نقله عياض في مداركه، إذ قال: "وبلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة لذلك فأجابوه: اسكت لا شيخ لك، قال عياض: يشيرون بذلك إلى أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنه لو خرج العلماء من إفريقية لما بقي فيها من العامة آلاف الآلاف، فرجحوا خير الشّرين".⁽¹⁶⁷⁾ فلولا أن قيض الله له تلميذا نبيا هو البوني وكذلك الحال مع أبي بكر ابن أبي زيد فوصلت مؤلفاته عن طريقهما إلى العلماء في الآفاق، لما عرفنا شيئا عنه البتة. فهذه الفتوى كانت سببا في تلك القطيعة التي كلفتها هذا الإهمال لتاريخه وأن يقي في دائرة النسيان؛ والله أعلم.

ولعل هذه الحادثة والخصومة، التي وقعت بين الدّاؤديّ وعلماء القيروان، تحتاج إلى بحث، واستفاضة وإلمام بالظروف، التي عاشها الدّاؤديّ، فحملته على هذه الفتوى، فلسنا بصدد الترجيح والتّصويب والتّحطّئة، فلا شك أن الحكم على الشيء فرع من تصوّره، فكل فريق كان له تصوّره للمفسدة والمصلحة ومآلات الأمور. فنسأل الله عزّ وجلّ، أن يثيب كلّ مجتهد على اجتهاده. ولعلّ بعد هذه المحطات في ترجمة هذا العالم يمكن القول إنّ هذه الفتوى هي السّبب في عدم اعتناء معاصريه بترجمته.

¹⁶⁵ يعقوب بن يونس بن عبد المؤمن بن علي الذي تولى الإمارة على المغرب من سنة 580هـ إلى سنة 595هـ فقد أعلى العمل بالمذهب الظاهري، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 312/21.

¹⁶⁶ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1386هـ/1949م، ص: 65.

¹⁶⁷ القاضي عياض، المدارك، 7/ 103.

ثانيا: وفاته:

وبعد حياة حافلة بالتعلّم والتعليم، والتأليف والدفاع عن العقيدة، ومجادلة العلماء استقر الداوديّ في تلمسان حتى وفاه الأجل سنة 402هـ/1011م. ودفن بباب العقبة، أو بالتحديد شرقي العقبة⁽¹⁶⁸⁾ وهذا التاريخ هو القول الصحيح، الذي سار عليه جمهور المترجمين خلافا لما ذكره الشريف العلمي في نوازل⁽¹⁶⁹⁾ أنّه توفي سنة 442هـ، وقول ابن مخلوف⁽¹⁷⁰⁾ أنّه توفي سنة 440هـ وذلك لثبوت هذا التاريخ من قبل من عاصره من العلماء، فقد نقل عياض عن حاتم الطرابلسي أنّ الداوديّ قد توفي سنة 402هـ⁽¹⁷¹⁾ واعتمده عياض. قال في المدارك بعد أن ذكر هذا التاريخ: "وقرأت في بعض التواريخ أنّ وفاته سنة إحدى وعشرين، والأول أصح"⁽¹⁷²⁾ يعني سنة 402هـ. وكان معدودا في أولياء تلمسان المشهورين، فهذا ابن مرزوق ينقل إلينا في مسنده⁽¹⁷³⁾ أنّ أبا الحسن المريني كان يزور قبره وقبر ابن غزلون (ت: 520هـ) وأبي مدين (ت: 594هـ) وغيرهم بتلمسان. وقد نقل المقرئ (ت: 1041هـ) في نفح الطيب عن ابن عرفة يمدح مدينة تلمسان، وأنّ من مفاخرها أن يكون الداوديّ مدفونا بها فقد قال في رجز علم الحديث: ⁽¹⁷⁴⁾

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ دُكَاٍ وَفَطَنُ
يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّأُوْدِيَّ بِهَا دُفُنُ
فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ قَطَنُ
مَعَ ضَجِيعِهِ ابْنُ غَزْلُونِ⁽¹⁷⁵⁾ الْفَطْنُ

¹⁶⁸ أبوبكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص76، العيني، عمدة القاري، 298/13، ابن حجر العسقلاني، المعجم المفهرس، 398/1، ابن فرحون، الديباج المذهب 35/1، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 2/ 10، 568.
¹⁶⁹ عبد الرحمن الجبالي، تاريخ الجزائر العام، 272/1، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر 47/1.
¹⁷⁰ ابن مخلوف، الشجرة 11.

¹⁷¹ حاتم الطرابلسي لم يسمع من الداوديّ، وإّما أخذ كتاب "النامي" عن البوني عن الداوديّ، ينظر فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 87.

¹⁷² القاضي عياض، المدارك 104/7.

¹⁷³ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن التلمساني، تح: ماريا حسوس بيقيرا، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص: 163، 164.

¹⁷⁴ أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/433.

¹⁷⁵ ابن غزلون هو أحمد بن علي بن غزلون أبو جعفر الأموي الأندلسي. روى عن أبي الوليد الباجي، قال ابن شكّوال: "وهو معدود في كبار أصحابه، وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء، أخذ عنه أصحابنا "أخذ الناس عنه صحيح البخاري توفي بالعدوة في نحو العشرين وخمسمائة أو بعدها. الذهبي، تاريخ الإسلام، 437/35، 270/41، الذهبي، سير أعلام النبلاء. 151/21، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلّة، 358/1، 40/3.

وحكى الجزولي التلمساني في شرحه المسمى (كعبة الطائفين) أنّ الشيخ أبا مدين شعيب التلمساني الإمام المشهور (ت: 594هـ) مشى إلى قبره زائراً مرحلة تامة أي: من وادي يسر إلى قبره. (176)

وقال عبد الوهاب بن منصور (ت: 1429هـ): "توفي بتلمسان سنة 402 هودفن بباب العقبة، وعليه قبة يقصدها اليوم الجهال سيما النساء منهم للأغراض التي تقصد لها الأضرحة والمزارات، ويعرفها الخاص والعام" (177). فرحم الله الإمام الدّاؤدي رحمة واسعة وحزاه الله خيراً عن تأليفه وعن منافحته عن السنّة وعن معتقد أهلها.

وقال علامة وهران الأستاذ الشريف الأطرش السنوسي (ت: 1424هـ) - رحمه الله -: "قد يغمر الإنسان حياءً، ويكرم ميتاً. وهو أحد شخصين: شخص احتاط لعمله أن يكون بعيداً عن أعين الناس، ليكون خالصاً لله. وشخص عاش بين قوم لا يدركون قيمة عمله. فيموت ويبقى عمله. وقد يكرم حياً وينسى ميتاً، وهومن له مع الناس رباط ماديّ فإذا مات ماتت معه مادته كأن لم تغن بالأمس". (178)

وقال الشيخ البشير الإبراهيمي (ت: 1385هـ): "يموت العظماء فلا يندر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله، وتبقى معانيهم الحية في الأرض قوة تحرك، ورابطة تجمع، ونورا يهدي، وعطرا ينعش، وهذا هو العظمة، وهذا كون العظمة خلوداً". (179)

فيموت علماؤنا ولا يندثر منهم إلا العنصر الترابي، وتبقى أعمالهم ومصنفاتهم شاهدة على ما قدموه من خير لدينهم وأمتهم .

والله نسأل أن نكون قد وفقنا إلى تجلية جوانب من سيرة الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الدّاؤديّ المالكي التلمساني، رجاء أن يعرفه طلاب العلم، ويعرفوا طرفاً من أخباره وجهوده في نشر العلم والفقه، بين أهل زمانه.

¹⁷⁶ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 568/2.

¹⁷⁷ جريدة البصائر، ص2، العدد 201، 1952. دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1427هـ/2006م.

¹⁷⁸ الأطرش السنوسي، تيسير الوصول إلى فقه الأصول، دار الغرب للنشر والتوزيع. 2000م، 322/1.

¹⁷⁹ مقالة نشرت في ذكرى وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس، العدد 151، من جريدة البصائر في 16/04/1951

ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997هـ، 588/3.

الخاتمة:

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد في الأولى والأخرة، لا يسعني في خاتمة هذا البحث، إلا أن أسجل أكرم النتائج المتوصل إليها ويمكن تلخيصها في الآتي:
- 1- أن أرض الجزائر شهدت على مر الزمان وتعاقب الأعصار، حركة علمية زاخرة في كل مجالات العلوم، وأنجبت الفحول والقطاحل من الفقهاء والعلماء والمفسرين من أمثال العلامة الداودي.
 - 2- سجلت في هذا البحث جملة من الفوائد عن حياة الداودي، وشخصيته العلمية، فجاءت هذه الدراسة ترجمة موسعة الداودي، خلافا لسابقتها.
 - 3- أنطت بهذه الدراسة اللثام عن جوانب خفية في حياة الداودي، كعصاميته في طلب العلم ودخوله القيروان، وآثاره العلمية.
 - 4- أبرزت الدراسة تراث الإمام الداودي الذي مازال يحتاج إلى تحقيق ودراسة وتبسيط الضوء على جوانب أخرى من حياته وإسهاماته العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، ط2، 1405هـ/1985م.
- ابن فرحون المالكي، الذبيح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت
- أبو الوليد بن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه لمسائل المستخرجة، مطبعة المتوسطة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1404هـ/1984م.
- أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، د.ت
- أبو بكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الأشبيلي، تح: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1419هـ/1985م..
- أحمد المختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب، صحيفة المعهد المصري، مدريد، 1957م.
- أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة في الفقه المالكي، تح: محمد حجي وغيره، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1994م.
- أحمد بن يحيى النونشريسي، المعيار المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م.
- الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1395هـ.
- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت-لبنان، د.ت
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط9، 1413هـ.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م.
- عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، ط2، 1388هـ.
- عبد العزيز دحّان، الإمام أحمد بن نصر الدّاؤديّ محدثاً وفتيها، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، العربية، ط1، 2008 م.
- عبد الكريم بن محمد بن منصور السّمعاني، كتاب الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1382هـ/1962م.
- القاضي عياض وولده، مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تح: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1990م.
- محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، مطبعة دحلب، الجزائر، (د ت).
- محمد بن القاضي عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف المغربية، ط2، 1402هـ.
- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ، ص: 110.
- موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الدّاؤديّ، المسيلي، التلمساني، المالكي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع طبعة خاصّة 2013م.
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1995م.
- ليانة عبر التاريخ، تقديم فوزي مصمودي، جريدة الشعب، ع. 11065 بتاريخ الثلاثاء 30 جويلية 1996م